الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

مقطع الرحلة في القصيدة الجاهلية زهير بن أبي سلمى أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب
تخصص: اللغة العربية

إعداد الطالب(ة):
* زينب كروش
* جميلة سعدي

إشراف الأستاذ(ة):
* الوالي سعاد

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــــاء

قال الله تعالى﴿اِقْرَأْ بِسْمِ رَبِكَ اَلْذِيْ خَلَقْ "1" خَلَقَ اَلْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقْ "2" اِقْرَأْ وَ رَبُكَ اَلْأَكْرَمْ "3" اَلْذِيْ عَلَمَ بِاَلْقَلَمْ "4" عَلَمَ اَلْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

قال صلى الله عليه و سلم﴿لَا خَيْرَ فِيْ فِيْمَنْ كَانَ مَنْ أُمَتِيْ لَيْسَ بِعَالِمْ وَ لَا مُتَعَلِمْ﴾

الشكر والتقدير

قال الله تعالي {إذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم"
وقال الرسول صلي الله عليه وسلم "من لم يشكر الناس لم يشكر الله "
فبحمد الله نبدأ الكلام وبشكره نتوسط المقام وبالعمل والإخلاص نحقق الأحلام
قال الله تعالي "وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه والوالدين إحسان إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما"
إلي التي ودعتني كل صباح وذكرتني كل مساء ونامت علي طيف كل ليلةالي التي أورتني بفيضي حبها إلي من اشترت راحتي وسعادتي بتعبها وشقائها إلي من أفنت شبابها وحياتها لأجلي إلي اغلي اسم نطقها لساني أمي الحبيبة نصيرة
أهدي هدا العمل باقة ورد يفوح شداها عدد ما أوردتني وعدد ما حملتني وعدد ما تذكرتني
إلي الذي كان نجاحي أمنيته الغالية إلي الذي لا يهنئ له بال حتى يراني هانئ البال إلي الذي ألبسني ثوب العز وغمرني بحبه إلي الذي علمني قيمة الحرف وان العلم لا ينال إلا و الناس نيام وانشئنى عل حب من علمني والدي العزيز عمار
فمهما طال ثنائي لن أوفيكما حقكما مدي حيت
اليمن كانوا بمثابة شموع تنير درب الحياة أخواتي "راوية عبد النور سليمان مرام الدلوعة بسمولة
إلي كل من جدتي فاطمة وزكية وجداي أحمد وعلي أطال الله في أعمارهم
إلي نعم القدوة عماتي "سليمة صباح مسعودة "والي خالاتي شمامة و زوينة "
والي زهرة العمر رتاج وعنوان السعادة والمرح لؤي وكل كتاكيت العائلة سلسبيل وإكرام إلي من احمل لهم في قلبي كل مشاعر الاحترام والتقدير "أسيا "والي كل الأهل والأقرب
إلي كل من تقاسموا معي حلو الحياة ومرها صديقات من الابتدائي إلي الجامعة كل باسمه فاطمة وزينب عفاف عزيزة نصيرة سلمى وسامية وسماح سهام.....
وصديقة المشاركة في مذكرة التخرج "جميلة سعدي "
كما أتقدم بالشكر والتقدير إلي الاستادة المشرفة "الوالي سعاد "والإستاد الفاضل قرميش فريد الذي كان له فضل كبير في إخراج هده المذكرة إلي النور
إلي كل هؤلاء اهدي ثمرة جهدي المتواضع فالهم اجعل أول عملي هدا صلاحا وأوسطه فلاحا وأخره نجاحا

زينب

إهداء

اللهم اجعل في قلوبنا نورا وفي قبورنا نورا وفي أسماعنا نورا وفي أبصارنا نورا ومن تحتنا نورا و من فوقنا نورا

إلي من كرس حياته شقاء من اجل إسعادي ،والي من ضحي بصحته إكراما في بقائي والي من لم يدق طعم الراحة من اجل ارضائى إلي والدي الغالي ،إلي نور عيني إلي حياتي أبى الغالي الحبيب ربي يحميك ويسترك

إلي ضوئي قلبي و عزيزة روحي ونفسي إلي أمي الغالية والحبيبة أفديك بعمري كله لكن لن أوفيك حقك ورضاك ربي يحفظك

إلى أختاي وردتا عمري كله ،يا من كنتما بمثابة والدا ي سهرتما من اجلي وحملتا الدهر من اجل إسعادي ،إلي"جهيد ونسيمه "ربي يحفظكما

إلي أخواي "زيدان وكمال "يا من كنتما السند و رفيقا عمري ربي يحميكما ويستركما

إلي ثمرة قلبي وربيعتا عمري وشقيقتا دربي إلي زهرة حياتي "مسعودة وشفيقة "الله يوفقكما في حياتكما

كما اهدي ثمرة جهدي إلي كل من خالات "يمينه خوجية " والي أخوالي "محمود والمولود "رحمهما الله والي عماتي "ذهبية ومسعودة عقيلة "

إلي صديقاتي اللاتي كانوا بمثابة اجواتي :مريم أمينة مليكه سهام لامية سهام أسماء ....

صديقتي في الرسالة التخرج «زينب كروش "

والي استاذتي الفاضلة في القران الكريم الأستاذة "كلثوم" الله يرعاك ويحميك

إلي كل من شجعني ولو بكلمة طيبة ولو بابتسامة رقيقة منحتني القوة والشجاعة والصبر علي الصعاب في سبيل تحقيق الانتصار والي كل من يعرفني من قريب أو بعيد ويكن لي الاحترام

جميلة

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الحديث عن موضوع الرحلة حديث شيق وممتع، كونه قد أثار فينا الاهتمام والفضول للولوج إلى صميم أعماقه، فالرحلة توحي بدلالات كثيرة، التي تحمل في طياتها الكثير من الأسباب، والتي جعلتها تعترن المجتمع الجاهلي خصيصا ويرتبط به ارتباطا شديدا إلى درجة لا يمكن فصل كل واحد منها عن الآخر وذلك لما عرف على الانسان الجاهلي على أنه إنسان النجعة وإنسان الترحال فحياته كانت قائمة على البحث عن أبسط أسس الحياة من أجل أن يضمن لنفسه البقاء والاستمرار في ظل صحراء قاحلة ومقفرة.

وسبب تناولنا موضوع: مقطع الرحلة في العصر الجاهلي" هو إعجابنا الشديد به، وعنوانه الذي أثار فينا الفضول من أجل معرفة حياة الإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية مع العلم أن حياة الترحال كانت وسيلته للبحث عن البقاء.

أما دافعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو حبنا في كشف أسرار الحياة الجاهلية التي طالما كانت مليئة بأسرارها وتحمل الجديد دائما في كل صحراء من صحرائها، وفي كل قبيلة من قبائلها وفي كل خيمة من خيامها ولهذا ارتأينا أن نطرح سؤال منهجي وبسيط هو لماذا كانت حياة المجتمع الجاهلي معلقة بالترحال دائما؟ فهل بغرض الترفيه عن النفس كما هو الحال عند اغلب المجتمعات المعاصرة؟ أم بحثا عن الاستقرار والبقاء؟ ولماذا يستخدم الشعراء الجاهليون بكثرة مقطع الرحلة في قصائدهم؟ وما هي أهم الحيوانات التي كانوا يستخدمونها أثناء ترحالهم؟.

وقد اعتمدنا على خطة منهجية في هذا البحث فمهدنا له بمدخل يتمثل في مفهوم مصطلح الجاهلية لغة و اصطلاحا، ومفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح، ثم انتقلنا إلى علاقة الارتحال بالعصر الجاهلي، ثم بعد ذلك الولوج إلى الفصل النظري الذي تضمن فصلين الفصل الأول تناولنا فيه أغراض وعادات الارتحال كالتجارة والصعلكة والتكسب بالشعر وفي الأخير غرض البحث عن مباهج الحياة.

أما فيما يخص الفصل الثاني فإننا قد تطرقنا فيه إلى الحديث عن طبيعة شبه الجزيرة العربية، ثم الحديث عن ظلال الطبيعة الجامدة على شكل القصيدة ومضمونها التي تضمنت وصف الصحراء ووصف الناقة أو الراحلة ووصف الخيل أو الفرس، ووصف الظعائن.

إلى جانب الفصل النظري يوجد الفصل التطبيقي، وقد خصصنا فيه للكلام عن الأطلال في الشعر الجاهلي وموضوعاته مع إعطاء أنموذج لذلك وهو معلقة زهير بن أبي سلمى، ولكن قبل ذلك فإننا قد أعطينا نبذة عن حياة الشاعر "زهير" وفي الأخير تحدثنا عن علاقة معلقته بالارتحال مع ذكر المقدمة الطللية ووصف الرحلة فيها.

أما في المنهج الذي تتبعناه في بحثنا هو المنهج النفسي والتاريخي، فالنفس تمثل في الوقوف على الأطلال لأن الشعراء الجاهليون قد كانوا يبكون من فراق الأحباب والحبيبة، فهم يكشفون عن توترهم وقلقهم بانقضاء الحياة فهم يبكون الطلل إنه طلل حزين وقد اندثر، ولهذا فالشاعر عندما يتحدث عن الأطلال فهو يتحدث عن دوافعه النفسية والانفعالية فجاءت قصائدهم مليئة بدلالات نفسية، أما فيما يخص المنهج التاريخي فكذلك عندما بحثنا وتتبعنا مسيرة الرحلة في العصر الجاهلي، وكما أن القصائد التي تتضمن مقطع الرحلة فهي تعبر عن معاني جديدة و مختلفة، فالشاعر فيها يتكلم عن تاريخ المجتمع ما قبل الإسلام وكيف كانت حياته مع الأحباب والحبيبة، وكيف صارت وتطورت فيما بعد عندما رحلوا وتركوه يبكي الديار.

أما الخاتمة فقد أردناها أن تكون استخلاصا لبعض نتائج البحث، وكما تطرقنا إلى ذكر قائمة الملاحق، وهي معلقة زهير بن أبي سلمى، و كذلك فهرس المصادر والمراجع الخاصة ببحثنا

و لكن بالرغم من الدراسة التي قدمناها حول هذا الموضوع فإنها لم تكن إلا حافزا لنفتح الباب أمام كل من أراد أن يقدم هو الآخر دراسة حول هذا الموضوع فقد كانت هناك دراسات سابقة حول موضوع "الرحلة" لأنها قد لفتت انتباه الكثير من الدارسين للكتابة عنها، وعلى سبيل المثال "وهب الرومية" الذي قدم كتاب بعنوان "الرحلة في القصيدة الجاهلية " فهو قد تطرق في كتابه للحديث عن "الرحلة" خصيصا في القصيدة الجاهلية .

إن هذا البحث وكغيره من البحوث قد واجهتنا فيه بعض الصعوبات منها: صعوبة التوفيق بين البحث والدراسة بالإضافة إلى ضيق الوقت بسبب البحث عن المصادر و المراجع

ولكننا مع هذا فإننا قد تمكنا من تجاوز هذه العقبات، و بفضل الله ورحمته استطعنا إتمام هذه الدراسة ونحن من كل هذا لا نرى في أنفسنا، وفي عملنا المتواضع إلا طلبة أرادوا أن يجتهدوا ولو بالقليل في هذا البحر الواسع ونحن لم نقدم إلا قطرة من قطرات هذا البحر، وهو عبارة عن جزء صغير وبسيط.

فإن أصبنا فمن الله، وهذا ما نأمل إليه ونرجوه، وإن أخطأنا فمن الشيطان ومن أنفسنا،

ولكن مع تقديم الوفاء، والإخلاص والصدق والنية في هذا العمل والفضل جاء من الله سبحانه وتعالى الذي عليه توكلنا وأنبنا، والحمد لله في الأولين والآخرين.

وفي الختام نسعى إلى تقديم كل شكر وتقدير وامتنان كبير إلى كل من قدم يد المساندة

والعون لنا، وبعرفان كبير واعتراف بالجميل إلى أستاذتنا الفاضلة والمشرفة علينا الأستاذة "الوالي سعاد" التي تولت كامل المسؤولية للإشراف بإخلاص ووفاء ودون تعب منها وهي قد أفادتنا كثيرا بالمعلومات التي تضم موضوع بحثنا، فنحن نتقدم إليها بكامل الاحترام والتقدير لها بكل اعتزاز وشرف، كما لا ننسى الأستاذ المحترم الذي خدمنا كثيرا أستاذ الثانوية "بحاير عمار" والشكر الجزيل إلى أستاذة القرآن الكريم "كلثوم" التي لم تبخل علينا بالنصائح الطيبة والأستاذ قرميش علاوة وإلى كل من ساهم معنا من بعيد كان أو قريب.

ونختم في الأخير كلامنا بحديث المصطفى خير الأنام صلى الله عليه وسلم الذي قال:"إِنَ أَوَلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَم، فَقَالَ لَه: أُكتُب، فَقَالَ: رَبِ وَمَا اَكتُبْ؟ قَالَ: أُكتُبْ مَقَادِيرَ كُلِ شَيء حَتَى تَقُومَ السَاعَةُ".

المـــدخـــل

I- المدخل

1- معنى الجاهلية

2- تعريف الرحلة

أ- لغة

ب- اصطلاحا

3- علاقة الارتحال بالعصر الجاهلي

أ- رحلة الشاعر

ب-رحلة المرأة

جـ- رحلة الصحراء

I- المدخل:

1- معنى الجاهلية :

الجاهلية اسم أطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الإسلام، وعرف أدبه باسم «الأدب الجاهلي»[1] وقد ذكرت هذه الكلمة «الجاهلية» في القرآن الكريم في مواضع مختلفة:

- قوله تعالى:(تَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الحَقِ ظَنَّ الجَاهِلِيَةِ). [2]
- قوله تعالى : (أَ فَحُكمُ الجَاهِلِيَةِ يَبغُونَ) .[3]
- قوله تعالى :(إِذَ جَعَلَ الذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الحَمِيَةَ حَمِيَةَ الجَاهِلِيَةِ). [4]
- قوله تعالى: (وَلَا تَبَرَجْنَ تَبَرُجَ الجَاهِلِيَةِ الأُولَى). [5]

وقد اختلف الكثير من العلماء حول قوله تعالى « الجاهلية الأولى» هناك من يقول أن المراد من ذلك هو ما كان قبل الإسلام ,وهناك من يرجعها إلى الفترة التي كانت بين أدم ونوح عليهما السلام ,وهي ثمان مائة سنة والذين ذكروا أن المراد بالجاهلية الأولى في الآية الكريمة (وَلَا تَبَرَجْنَ تَبَرُجَ الجَاهِلِيَةِ الأُولَى) هو ما كان قبل الإسلام مطلقا أو ما كان بين عيسى عليه السلام و محمد عليه الصلاة والسلام [6] .

وكما هو معتاد أن أسماع الناس قد ألفوا على أن يسمو تاريخ العرب قبل الإسلام «بالعصر الجاهلي» لأنهم يروا أن العرب في تلك الفترة أهل جاهلية يغلب عليهم البداوة وهكذا نرى أن الجاهلية تعني الكلمة التي أطلقت على الفترة التي كانت قبل مجيء الإسلام.

---

(1)- سعد بوفلاقة : دراسات في الأدب الجاهلي (النشأة والتطور والفنون والخصائص) منشورات جامعة باجي مختار, عنابة, 2006م, د ط، ص:18

(2)- أل عمران /154

(3) - المائدة /50

(4)- الفتح /26

(5) - الأحزاب /33

(6) - سعد بوفلاقة : "دراسات في الأدب الجاهلي"، ص:19.

والجاهلية اصطلاح مستحدث ظهر بظهور الإسلام، وهو اصطلاح استعمل ليطلق على أحوال العرب قبل الإسلام, تميزا لها عن الحالة التي أصبح عليها العرب بظهور الدين الحنيف وقد وردت لفظة الجاهلية في القرآن الكريم بمعنى السفه والغضب والطيش[1] كما في سورة الأعراف « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْمعُرْوفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ »[2], ويقابل الجاهلية الإسلام الذي عماده الخضوع لله والانقياد له.

ولهذا يمكن القول أن الوقوف على العصر الجاهلي يكون عند خمسين ومائة عام ما قبل الإسلام, وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى الذي هو خارج عن العصر الذي ورثنا منه الشعر الجاهلي واللغة العربية ،والذي تكامل معه نشوء الخط العربي.

2- تعريف الرحلة:

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب «بَعِيرٌ ذُو رُحلَة ورَحلَة, إذا كان قويا على أن يرحل, وأَرتَحَلَ البَعِيرُ رَحلَة سار فمضى حتى قيل إِرتَحَلَ القوم عن المكان اِرتِحَالاً ورَحَلَ عن المَكَان يَرحَلُ وهو رَاحِلٌ, ومن قوم رُحَل, انتقل فقال:

رحلت من أقصى بلاد الرحـــل من قال الشعر نحبني موحل،

ورحل غيره قال الشاعر

ليرحل الشيب عن دار يحل بها حتى يرحل عنها صاحب الدار

ويروي عامر الدار, والتَرَحُل والإِرتِحَال: الانتقال، وهو الرَحلَةُ والَرِحلَةُ، والرُحلة اسم للارتحال للمسير يقال دنت رحلتنا, رَحَلَ فُلان وارتَحَلَ وتَرَحَّلَ, وفي الحديث: الرُّحلة بالضم القوة والجودة ويروى بالكسر بمعنى الارتحال.

---

(1)- عادل جابر صالح محمد وشفيق محمد الرقيب :تاريخ الأدب العربي القديم ,دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان – الأردن, 2010م ,ط1. ص09 .

(2) – الأعراف /199.

وحكي اللحيافي: إنه لذو رَحلة إلى الملوك ورحله, وقال بعضهم الرحلة, الارتحال والرُّحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده, وتقول أنتم رحلي أي الذين أرتحل إليهم أرحلت الإبل: سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة.

و راحلة فلان إذا عاونته على رحلته أرحلته إذا أعطيته راحلة وراحلته بالتشديد إذا أطعنته من مكان وأرسلته, ورحل مرحل أي له رواحل كثيرة, وقول امرؤ القيس:

فإما تريني في رحالة جابر على حرج كالقر تحقق أكفاني [1].

و الرحيل: القوي علي الارتحال والسير, والأنثى رحيله.

كما يقال فحل فحيل ذو فحلة وجمل رحيل وناقة رحيله بمعنى النجيب، والمرتحل نقيض المحل وأنشد قول الأعشى إن مُحلاً وإنّ مرتحلا يريد إنّ ارتحالا، وإنّ حلولا قال:وقد يكون المرتحل اسم الموضع الذي يحل فيه قال: الترحّل ارتحال في مهله.

ورَحَلَ الرَجُلُ: منزله ومسكنه والجمع "أرحل" وفي حديث عمر قال:

يا رسول الله حولت رحلي البارحة كني برحله عن زوجته[2].

ب- الرحلة اصطلاحا:

لقد بدأت الرحلات ضيقة ثم اتسعت مع مر الزمن, فالإنسان ولد راحلا, وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال, ونجد ذلك مثبوتا في الأساطير الأولى كما نجده ماثلا في الحروب والفتوح القديمة[3].

جاء بقلم أحد الفرنسيين في القرن 18 م القول إن الرحلات تشكل أكثر المدارس تثقيفا

---

(1) – ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب دار صادر بيروت : مجلد 11 ، ص 266-267

(2) – المصدر نفسه ، ص 269-270

(3) – شوقي ضيف : "الرحلات فنون الأدب العربي الفن القصصي "، دار المغارف كورنيش ، القاهرة ، مصر، د ت، ط4 ، ص 80.

للإنسان, ويعرفها صلاح الشامي بأنها جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض[1].

وكتب أيضا"صحيح أن كل رحلة قد حققت لحساب الإنسان ونبض الحياة المستمرة على الأرض وصحيح أيضا أن الإنسان كرس اجتهاده لإنجاز الرحلة لم، ولن يفرط أبدا في جني ثمرات الرحلة والانتفاع بها ولكن الصحيح بعد ذلك كله أن الرحلة قد رسخت كل العوامل و المفاهيم التي بنيت عليها وحدة البشر على الأرض...." [2] .

يقول محمد بن سعيد عياد :

و من لم يغترب في كل قطر فكالطفل الذي في حجر أمه

تراه ساخطا لا علم يدري و يبكي حينما فارقها لمحه [3].

3- علاقة الرحلة بالعصر الجاهلي:

منذ أن خلق الله سبحانه و تعالى آدم كان التنقل هو ديدن الإنسان في أغلب بقاع الأرض ، فإن الإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية كان يعيش في البوادي فكان بذلك دائم التنقل و الترحال بسبب طبيعة الحياة التي يعيشها ، سواء تعلق الأمر بالماء أو بالكلأ ، لأن العرب كانوا يعيشون في الخيام ، و يتتبعون مساقط المياه ، و منابت الكلأ في البادية ، فهم يكسبون رزقهم من رعي الإبل ، و يأكلون لحومها ، و يشربون ألبانها ، و يكتسون بصوفها ووبرها .

و يتخذون من أصوافها مساكنهم، و إذا احتاجوا إلى غير ما تنتجه ماشيتهم تعاملوا من طريق البدل ، فكانوا يستبدلون بالماشية و نتاجها ما يحتاجون من تمر و لباس ، و قد يلجئون إلى الغارة و السلب إن دعتهم الحاجة لذلك [4].

---

(1) – حسين محمد فهيم : أدب الرحلات علم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ، الكويت ، د–ط ، 1978 م ص :16

(2) – ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب ، ص 16– 17

(3) – محمد عيسى صالحيه : رحلة الشيخ الطنطاوي إلى بلاد روسيا ، دار البشير لنشر اليرموك ، د–ط عمان الأردن ، 1992 م ، ص 49

(4) – سعد بوفلاقة : دراسات في الأدب الجاهلي ، النشأة و التطور و الفنون و الخصائص ، ص 12

المدخل

عاش الإنسان العربي في بيئة شديدة العسر ، تفرض سلطانها المكين عليه، و لم يكن لهذا الإنسان الجاهلي من محيد عن العيش في كنفها مضطرا ، بيدا انه لم يَن عن الفعل الجاد لتهوين وطأتها القاسية عليه كلما واتته نهزةً لمجابهة عوامل القهر ، أو كلما أنس في نفسه قدرة على صد بواعث التعطل ، فقد كان يحيا في عرض بيئة قاحلة تفرض على أبنائها دوام التنقل ، و كثرة الأسفار في الفلوات المخلة و مجاهلها [1].

ولا شك أن للبيئة العربية أثرا قويا في حياة أهلها، فطبيعتها التي يغلب عليها الجفاف طبعتهم بطابع خاص تسوده البداوة، وسنت لهم نهجا معينا، سلكوه في حياتهم ومجتمعهم لأن المناخ العربي يغلب عليه الحل والترحال والتقشف والكساد، وقد دعاهم ذلك كله إلى أن يعيشوا أغلب ما تنتجه ماشيتهم، وخاصة إبلهم، عيشة التنقل والترحال، ويقتاتون من لحم الماشية وخاصة الإبل ويشربون من ألبانها ويلبسون أصوافها، ويتخذون من أوبارها وأشعارها أثاثا ومساكن لهم[2].

فالرّجل البدوي هو رجل العراء والفضاء المكشوف، ويشكل بخيامه المتنقلة مدنا متحركة وتختفي بين عشية وضحاها، دون أن تترك أي أثر وراءها.

فكل ما في البدوي غير مستقر كمنظر الرمال الذي يتحرك فوقها، فحياته كانت قائمة على النجعة والرحيل متتبع مواطن الخصب والكلأ ومنابع الحياة، فظل بذلك الإنسان العربي في العصر الجاهلي لا يستقر في مكان معين بسبب عزلة بلاده وانحصارها بين الجبال والبحار، فكانت بذلك حياته حياة الترحل والسفر القائم على البحث عن مناهج وسبل الحياة المختلفة من أجل الحفاظ على حياته.

---

(1) جليل حسن محمد : قراءات نصية في الشعر الجاهلي،دار جرير لنشر والتوزيع ،عمان.الأردن، 2001، ط2 ،ص12 .

(2) – آسية الهاشمي البلغيتي التلمساني : وصف الرحلة في الشعر الجاهلي ، دار نشر المعرفة للنشر و التوزيع ، 2007 ، ط1 ، ص13،10،09

نحن نعلم أن صحراء العربي في شبه الجزيرة العربية تحتاج إلى إنسان قوي يتحدى لكل ظروفها القاسية، فبهذا شكلت حياة الترحل لدى عرب الجاهلية تمثل حياة العالمية لديهم، فهم في سفر دائم، يبحثون عن مساقط الغيث، ومواطن الرعي، ولهذا نجد أن الكثير من أصحاب المعلقات يستخدمون هذا النوع من الحياة في شعرهم وقصائدهم، فقد كانوا يقفون على الأطلال، ويقومون بوصف الحبيبة بالراحلة، ويبكون على ديارهم وما بقي فيها من آثار.

فقد وقف امرؤ القيس على ديار محبوبته في مطلع معلقته، وناشد رفيقيه الوقوف معه، وذكر منازلها بسقط اللوي وتوضح والمقراة، وكيف أن آثار هذه الديار ما تزال باقية، غير أنها خلت من أنيس، وأقفرت من السكان وأصبحت مسارح للظباء[1] فقال:

قفا نبكي من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب و شمأل

ترى بعر الأرآ م في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل .

وكما أن زهير بن أبي سلمى قد الم بديار "أم أوفي" بعد عشرين عاما، فلم يجد إلاّ البقر الوحشي والظباء، فيقول:

بها العين و الأرام يمشين خلفة و أطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وعلى حد قول الدكتور النويهي" قوم تِرحالهم دائم ينتجعون المرعى، ويؤمنون تلك البقاء من الأرض التي تحفظ قدرا من مطر السماء فينبت عليها العشب الذي ترعاه إبلهم ونوقهم ، هنا يبقون حتى ينفذ المرعى، و يأكل حيوانهم كل عشب فيضطرون إلى الرحلة إلى مكان آخر لا يزال به عشبا، وتختلف مراعيهم بطبيعة الحال بين فصول السنة المختلفة فلا ربما اتفق أنهم في أثناء تِرحالهم الدائم مرورا من جديد ببقعة كانوا قد حلوا من زمن سابق

(1) – عادل جابر صالح محمد و شفيق محمد الرقيب : تاريخ الأدب العربي القديم ، ص 17.

فيقفون هناك برهة يعتبرون فيها ويتذكرون ماضي حياتهم وسالف رفاقهم"[1].

ولا غرابة في ذلك فالبلاد العربية في شبه الجزيرة زاخرة بالمشقات، والصعوبات، فياف شاسعة مجدبة ورمال وجبال وعرة وجرداء، وعطش شديد، وسراب وآل ووحشة، وانتقال وسموم وحرور وأهوال، ومن ألم ما يواجهه المسافر في الصحراء فيضها وشدة حّرها، وقد عانى الشعراء مثل تلك المشقات، وهم على ظهر ناقتهم أو ما تسمى بسفينة الصحراء، وبصحبة بعض الرفاق الذين لا يؤمن السفر بمعزل عنهم.

قال السويد بن أبي كاهل الشكوي وهو شاعر مخضرم[2]:

كم قطعنا دون سلمي مَسمَـــها ... نازح الغور إذا الآل لمــع

في حـرور ينضـج اللحـــم بما ... يأخذ السائر فيها كالصقع

و فلاة واضـــح أقرابهـــــا ... باليات مثل مرفض القـــزع

يسبح الآل علـي أعـلامـــهـا ... و علي البيد إذا البوم منع

فـركـبناهـا عـلـى مجهولها ... بصلاب الأرض فيمن شجع .

إن ما تحدثنا عنه في علاقة الرحلة بالعصر الجاهلي يؤكد أننا عندما نأتي على ذكر كلمة جاهلي يتبادر إلى أذهاننا مباشرة أنه عصر الرحلات، والسفر والتنقل تبعا للطبيعة التي تسوده وأننا لا يمكن أن نفصل كلمة رحلة عن العصر الجاهلي لأنه عصر متشبث بهذه الكلمة (الرحلة)، ولذلك لإيضاح أكثر على هذه العلاقة بين الرحلة والعصر الجاهلي لابد أن نستعرض ثلاث حالات من الرحلات من اجل التأكيد مثل: رحلة الشاعر، رحلة المرأة، رحلة الصحراء.

أ- رحلة الشاعر :

كان الشاعر الجاهلي يقوم إلى ناقته بعد أن يذرف العبرات على الطلل، فيمتطيها

---

(1) – حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الجليل ن بيروت – لبنان ، 2005 م، د–ط ، ص 138.

(2) – المرجع نفسه ، ص 138.

ينطلق إلى الصحراء، فيقوم شاعر بوصف وحشية الطريق ومخاطرها، وأهوالها والآبار التي ينزل بها، كما أنه يصف سيره بالليل، و نومه في الصحراء، ومع هذا السير والنوم في الخلاء، فإنه لا يذكر ملاقاة إنسان أبدا، و قد يذكر أن رحلته كانت اللحاق بقومه أو لشيء آخر، وقد تبدوا هذه الرحلة بلا غاية ولكن لماذا هام في فجاج الصحراء بعد وقفته على الطلل.

والواقع أن بين رحلة الشعراء الجاهليين وملحمة جلجامش البابلية كثيرا من الشبه ففيهما ثور وحشي ويحتل جزءا أساسيا، وفيها تجاوب طويل، ولكن الملحمة البابلية تحدد الهدف من الرحلة وهو الوصول إلى الشمس لنيل الخلود، أكان الشاعر الجاهلي يطمح في الوصول إلى الشمس أيضا لنيل الخلود[1].

ولنا في قصيدة زهير بن أبي سلمى قوله في الثور:

فأدركته سماء بينها خلل ... تروي الثرى و تسيل الصفصف القرقا

فبات معتصما من قرها لثقا ... رقّ السّحاب عليه الماء فاطرقا

يمري بأظلافه حتى إذا بلغت ... بيس الكثيب تداعى التربه فانخرقا

مولي الريح روقية وجبهته ... حتى دنا مرزم الجوزاء أو خفقا

ليلته كلما حتى إذ حسرت ... عنه النجوم أضاءا لصبح فانطلقا

فصبّحنه كلابٌ شدها خَطِفٌ ... و قنص لا ترى في فعله خُرُقا

كرّ ففرّج أولاها بنافذةٍ ... نجلاء تنزح روقيه دما دفقا

ومن هنا يمكن القول أن الشاعر الجاهلي جعل رَحْلَهُ ومثيرته، ونمرقته على الثور الوحشي، ولذلك لا أحد منا أن ينكر الحرية على الشاعر الجاهلي، ولكن الحرية تعقب التنوع، وما كذلك الصور التي تتحدث عن رحلة الشاعر الجاهلي، كما رأيت، ومن ثمة

(1) – نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، دار كنوز المعرفة ، عمان – الأردن ، 2013 م، ط1 ، ص 156.

فالغناء لدى الشاعر الجاهلي هو الطلل فراح يركب ناقته العنتريس، والثور والظليم، وحمار الوحش وبقي يجوب في الصحراء .

ب- رحلة المرأة:

كان الشعراء الجاهليون ينتقلون إلى وصف رحلة المرأة بعد فراغهم من الطلل: أو يصفون رحلتها دون أن يبكوا على الطلل.

ونلاحظ في وصف الظعائن عدة أمور[1]:

أولها: أن المرأة فيها تخرج بأبهى حلتها، وكامل زينتها، وأن الهوادج نفسها تظهر في الشعر الجاهلي كأنها في موكب ذاهب إلى العرس.

فالنساء مضمخات بالمسك الفواح، ممتطيات إبلا قد صنعت لها رحال خاصة بهن، وغطت أسنمتها بالحوا يا فقال عبيد بن الأبرص:

عالين رقما و أنماطاً مظاهرةً وكِلّة بعتيق القفل مقرومه

ثانيا: أن المرأة ترحل عادة إلى الأنهار، والينابيع، فتطوف في الصحراء ما تطوف ثم تضع رحالها بجانب الماء، وقد تكون الرحلة في طلب الربيع كقول عمر بن قميئة:

ثم كان الحساء منهم مصيفا خاربات الخدور تحت الصدال

وقد تكون الرحلة للحج، وقد ترحل المرأة ولا يذكر الشعراء أين حل بها المقام.

ثالثها: أن للرحلة صورتين تكادان تكرران عند جميع الشعراء الجاهلية وهما تشبيه ظعائن بالسفن والخيل[2].

ولا أدري إذا كانت عادة العرب أن يخرجوا من ديارهم بأبهى حلَلِهِم، وإذا كانت عادة النساء الجاهليات، أن يرحلن متعطرات فما من قوم تجذب ديارهم، وتمر بهم أيام عجاف يعز فيها القوت فتهزل الأجساد وتدوي، يخرجون من هذه الديار متعطرين متحلين[3].

---

(1) – المرجع السابق ، ص 147.

(2) – نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ، ص 148.

(3) – المرجع نفسه ، ص 149.

هل يهون الوطن على العرب الجاهلية حتى يفارقوه سعداء، وإذا كان الوطن رخيصا إلى هذا الحد فلم وقف الشاعر على الأطلال؟

يخرج القوم من ديارهم تظللهم سحابة الحزن، قد رثت ثيابهم وتمزقت، أما موكب المرأة الراحلة فما هو برث، ولا هو بحزين.

جـ- رحلة الصحراء:

إذا كان الشاعر الجاهلي –كما أظن– رمز بالطلل لليأس ورمز للمرأة بالأمل، فإنه رمز برحلة الصحراء بالعمل، وإذا كان قد عبر في الطلل عن سخف الحياة التي يكون مآلها الموت، وعبر في المرأة عن الأمل في الحياة، فإنه قد عبر برحلة الصحراء عن العمل من أجل تحقيق الأمل[1].

وتبدو أن الناقة في هذه المرحلة رمز للقوة والإرادة التي تواجه الصعاب من أجل تحقيق الآمال، ولهذا فالشاعر تمثل الناقة بنسبه إليه كل مظاهر القوة والمقدرة على تحمل المشقات، ولذلك فأفرط الشاعر في وصفها في أشعاره، والناقة القوية التي تبتدئ في الرحلة هي إرادة الشاعر في عنفوانها والناقة الطليح التي تظهر في نهاية الرّحلة هي إرادة الشاعر التي تضامنت في درب الحياة [2].

(1) – المرجع السابق، ص 187.

(2) – المرجع نفسه ، ص 149.

الـــفـــصـــل

الأول

II- الفصل الأول :

I- أغراض و عادات الارتحال

1- أغراض الارتحال

أ- الصعلكة

ب- التكسب بالشعر

جـ- التجارة

د- البحث عن مناهج الحياة

II- الفصل الأول:

I- أعراض و عادات الارتحال:

1- أعراض الارتحال:

يعد الارتحال من الركائز الأساسية التي قامت عليها الحياة الجاهلية، فكان من الطبيعي أن تتعدد أغراضه والدوافع ،والأسباب التي من اجلها يقوم هذا الارتحال، ومن أهم هاته الأغراض ما يلي :

أ- الصعلكة :

الصعاليك طائفة برزت في عصور مختلفة بين طوائف مختلفة من الشعراء، و حققت حضورا ملموسا في الحياة العامة، مثلما أسهمت في تسجيل جوانب في الحياة من معالم هذه العصور، وما شهده من ازدهار في مجالات الأدب ولا سيما من حيث ظهور أولى ملامح التجديد في الموضوعات والأعراض والأساليب، وقد اختلف مؤرخو الأدب و دارسوه و نقاده قدماؤهم، ومحدثوهم اختلافا كبيرا في هذه الطائفة من الشعراء.

و طائفة شعراء الصعاليك ظهرت في العصر السابق للإسلام، وكانت تلتقي على حالة مهمة في حياة العرب وهي فقد الإحساس بالعصبية القبلية، وقد كان الدكتور "يوسف خليف" قد اهتم بالحديث عن الشعراء الصعاليك واصفا المغامرات الخاصة بهم وآرائهم الاجتماعية والاقتصادية وعقدهم النفسية الناتجة عن انقطاعهم عن ذويهم"[1].

في حين رد "إحسان سركيس" ظهور الصعاليك في العصر السابق للإسلام إلى ما أسماه بعدم إدراك أماليهم ونفسيا تهم، مما سبب نفورهم منهم وخروجهم على طاعة مجتمعهم و هروبهم منهم، وهناك من يرجع سبب الصعلكة إلى عامل يقترب من الفقر، وهو الطبيعة لأن قسوة الطبيعة في زمن الجفاف أدى إلى ظهورها كرد فعل على قسوة الطبيعة

(1)- ضياء غني لفتة : البنية السردية في شعر الصعاليك ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان – الأردن ، 2010 م ط1 ، ص 22-35.

والصعلكة مشكلتها لم تكن مشكلة قبائل، وإنما مشكلة نظام نفسه وربما كان تمردا على الأوضاع القبلية التي جعلتهم يحسون بضيق اقتصادي، فكان لابد الإتكال على أنفسهم، وهذا مما سبب نفورهم وتمردهم عل قبائلهم[1]، والصعلكة في العصر الجاهلي نلاحظ أنها تتكون من ثلاثة طوائف:

- طائفة الخلعاء والشداد:

الذين أنكرتهم قبائلهم، وتبرأت منهم وطردتهم من حماها، وقطعت ما بينهم وبينها من صلة، فأصبحت لا تحتمل لهم جريرة، ولا تطلب بجريرة يجيرها أحد عليهم.

- طائفة الأغربة السود:

الذين سار إليهم السواد من أمهاتهم الحبشيات، فلم يعترف بهم أبائهم العرب، ولم ينسبوهم إليهم لأن دمائهم ليست عربية خالصة منهم "الشنفرى"، تأبط شر، "السيليك بن سلكة".

- طائفة المتمردين:

الذين تصعلكوا نتيجة لظروف الاقتصادية التي كانت تسود المجتمع الجاهلي[2].

يقول تأبط شرا:

لكنما عوّلي إن كنت ذا عــول على بصير بكسب المجد سبّــاق

سبّاق غايات مجدٍ في عشيرتهِ مرجع الصوت صدا بين أرفــاق

عاري الطّنابيب ممتدٍ نواشره مدلاج أدهم واهي الماء خــاق

حمال ألوية شهّاد أندية قوّال مُحَكَمَةٍ جــوّاب أفــاق

فِداك عمي و خزوي أستغيث به إذا استغثت بخافي الرَأسِ بغّاق .

(1)- المرجع السابق، ص 17-35.
(2)- عادل جابر صالح محمد و شفيق محمد الرقب : الأدب العربي القديم ، ص 22. 23

إن الشاعر من خلال هذه القصيدة يتحدث عن أخلاقه، وشجاعته موضحا أنه لا يقل أهمية عن غيره من الناس، فهو في هاته المقطوعة يقدم صورة لصعلوك المثالي، مشيدا بكل صفاته من قوة وصلابة ولكنه قبل هذا المقطع فقد تحدث في مقطع آخر عن همومه وأحزانه، بسبب شوقه إلى أهله وأصحابه، فيقطع المسافات الطويلة في ليالي المظلمة معترضا لأخطار الرحلة في الصحراء فقال:

يسري علي الأينِ و الحياة محتفيا نفسي فداؤك من سار على ساق[1].

ويقول تأبط شر في مقطع آخر من الشعر واصفا حالة السفر و تعب الصحراء:

ألاّ من مُبْلِغ فتيان فهـــم بما لاقيت عند رحى بِطَانُ

بأنّي قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان[2].

إن الصعلوك قد وطن نفسه على الانتقال دون قيد وأنظمة القبلية فهو لا يستطيع التوفيق بينهما وبين أنظمة الخضوع التي فرضت عليه، وهناك قصيدة أخرى "لتأبط شر" يصف فيها الأحبة وما كان في نفوسهم من نار الشوق والحنين.

إني أرقبُ لبرق خَافِي سَارِ كان في العين مِنْهُ مَسّ عَـوَّارِ

أو حرٍ قُلْقُلِه كانت بها قُذُفٌ لما يرى قَشرِها مَن حَرِها الباري

إنّ السُمُومَ إذا عَادَتْكَ وَارِدَةً إن لَمْ تُفَزِّعْ لَهَا وَرِدٌ بِإصْـرَارِ

كَانَتْ عَلَيْكَ سُقَاماً تَسْتَكِينُ لَهُ و أنْصَبَتْكَ لِحَاجَات و إِذْكَـارِ

و كما كان الشعراء الصعاليك يدعون بالسقيا لأطلال الحبيبة لإعادة الحياة، وبعثها للانتصار، على اليأس و التشبث بالحياة.

سقيا لسجنة من سجن و ساكنة بِدَيْمَةَ من ذهاب الماء مِدْرَارُ

بِكُلِ جَوْنٍ رَوَايَاهُ مُطْبَقَـــة وَاهِي الغَزَالِي من الجوزاء جِرَار

---

(1)- تأبط شرا، الديوان: إعداد و تقديم طلال حرب ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1996 م ، ط1 ، ص 48.

(2)- ضياء غني لفتة : البنية السردية في شعر الصعاليك : ص 106-107.

و قد خبرتك ما الكولاَ سفعة أبا الوليد و دوني سجن دوار

في جوفه ذي ثر فاه سدّ مخرجه بباب سباح ، هين القفل صرار[1].

أما الشنفرى فله قصيدة أنشدها "المفضل الظبي" في المفضليات أوصف فيها جوانب من الصراع بينه و بين بني سلامان، وأستهلها بمقدمة غزلية، وصف فيها رحلة صاحبته أم عمرو، وصور أثر تلك الرحلة في نفسه، فقد كان الشنفري متمردا على تقاليد مجتمعه وبالتالي تمرد على التقاليد الفنية للقصيدة الجاهلية، فهو لا يكترث بأن تتضمن قصيدته وصف الناقة، والصحراء و الرحلة، بل ركز على وصف غزوة من غزواته فقال:

و بَاضِعَةٍ حُمْرِ القِسِيِّ بَعَثْتَهَا وَ مَنْ يَغْزُ يَغْنَمِ مرة وَسَيَمَّتِ[2].

وأما إذا نظرنا إلى شكل القصيدة فأننا نراها تختلف في أجزائها:

فهي تتألف من مقدمة وموضوع، مقدمة في وصف الرحلة، ومقدمة في وصف الغزوة.

والشنفري مثله كمثل الشعراء الصعاليك الذي قطع كل صلة بمجتمعه وأرضه ليبحث عن الأمن والطمأنينة في أرض أخرى التي افتقدها عند قومه فيقول:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُم فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

وَ فِي الأَرضِ مَنْأَى لِلكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَ فِيهَا لِمَن خَافَ القِلَى المُتَعَزَّلُ

لَعَمْرُكَ مَا بِالأَرضِ ضِيقٌ عَلَى امرِئٍ سَرَى رَاغِبًا أَو رَاهِبًا وَ هُوَ يَعقِلُ

و لِي دُونَكُم أَهلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَ أَرقَطُ زُهلُولٌ وَ عِرفَاءُ جَيأَلُ

هُوَ الأَهلُ لَا مُستَودَعُ السِرِ شَائِعٌ لَدَيهِم وَ لَا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخذَلُ

ويتضح من خلال البيت الأخير سبب الخلع والنفي، فهو كان يعيش بين الفردية التي تدفعه إلى إثبات حقوقه اتجاه الحقوق الجماعية، وتعلقه في حين آخر بجماعته إلى درجة التضحية

(1)- ضياء غني لفتة : البنية السردية في شعر الصعاليك : ص 127-128.
(2)- عادل جابر صلاح محمد شفيق الرقب : تاريخ الأدب العربي القديم ، ص 25.

بنفسه[1].

وأما "عروة بن الورد"هو الآخر الذي أعلن الثورة على القبيلة في نظامها الاجتماعي والاقتصادي فقال:

و إنّي امرؤٌ عَافِي إنَائِي شِركُهُ وَ أنتَ امرؤٌ عَافِي إنَائِكَ وَاحِـــدُ

أَتَهزَأُ مِنِي أَن سَمِنتُ وَ أَن تَرَى بِجِسمِي سَمُوبَ الحَقِ وَ الحَقُ جَاهِدُ

أُقِسمُ جِسمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَ أَحسُوا قِرَاحَ الماء المَاءُ بَـــارِدُ[2].

ونضيف إلى شعراء الصعاليك شاعر آخر وهو "قيس بن الحدادية" الذي يشير في مقطوعة من قصيدته إلى حوار دار بينه وبين حبيبته من آلم الفراق والوداع، وما صاحبه من ضجة و صخب، ويعود مرة أخرى للحديث عن اللوعة التي اجتاحت قلبه لما يسمع مؤذن الرحيل فيقول:

وَ مَا رَاعَنِي إِلَا المُنَادِي إِلَّا أَطعَنُوا وَ إِلَّا الرَوَافِي غُدوَةً وَ المَقَانِعُ

فَجِئتُ كَأَنِّي مُستَضِيفٌ وَ سَائِلٌ لَا خَبَرَهَا كُلّ الذِي لَنَا صَانِـــعُ

فَقَالَت : نُزَحزِحُ مَا رِنَا كُبرُ حَاجَةٍ إِلَيكَ وَ لَا مِن لِفَقرِكَ رَاقِـــــعُ

فَمَازِلتُ تَحتَ السِترِ حَتَى كَأَنَنِي مِن المَردِ طَمرَينِ فِي البَحرِ كَـــارِعُ

وفي عينية قيس بن الحدادية يأخذ الحوار نصيبا وافرا حتى تكاد قصيدته تقترب من قصائد الغزل العذري، وما يتعاطاه المحبون من ألم الوجد، والشوق عند الفراق فكان الحوار مصورا لعواطف الشخصيات، عندما أزمعت (نعم) الرحلة فقال:

وَ قُلتُ لَهَا السِّرُ بَينِي وَ بَينَـــهَا عَلَى عَجَلٍ، أَيَّانَ مَن سَارَ رَاجِعُ

ثم يقول ما قالته (نعم) قبل هذا:

فَجِئتُ كَأَنِي مُستَضِيفٌ وَ سَائِـلَ لِأُخبِرَهَا كُلَ الذِي أَنَا صَانِعُ

(1)- ضياء غني لفتة : البنية السردية في شعر الصعاليك : ص 21.
(2)- عروة عمر : الشعر الجاهلي حياة العرب الأدبية ، كلية الآداب قسم اللغة العربية ، جامعة الجزائر دار مدني ، 2008 ،د.ط، ص 130.

فقالت : تزحزح ما بنا كبر حاجة إليك و لا منا لفقدك راقـــع

وبعد أن يحاور نفسه بما تصنعه الحبيبة، يرجع إلى الحوار في مشاهد الظعن الممتزجة ببكاء الفراق في قوله:

فَقُلتُ لَهَا يَا نِعمَ حَلَيُّ مَحَلُّنا فَإِنَ الهَوَى يَا نُعمُ وَ العَيشُ جَامِعُ

فقالت و عيناها تفيضان عبـــرة بأهلي بين لي متى أنت راجـــع

فَقُلتُ لَهَا تَاللَّهِ يَدرِي مُسَافِـــر إِذا أَضمَرتُه الأَرضَ مَااللهُ صَـانِـــعُ

فَنَشَدَت عَلَيَّ فِيهَا اللِّئَامُ وَ أَعرَضَـــت وَ أَمعَنُ بِالكَحلِ السَحِيقُ المَدَامِـع[1].

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن الشعراء الصعاليك عبروا في شعرهم عن فرارهم لأنهم وجدوا في الفرار نجاة بالنفس من الموت المحتم، فسلكوا المسالك الوعرة في الصحراء الموحشة، وتحدوا عالم الموت، فكان بذلك تماثلا بين الصعلوك والصحراء، والصحراء بما فيها من هول، وجدب وفقر، فهي تشبه الصعلوك في افتقاره وعوزه، والافتقار هو افتقار النفس التي هجرت، وفارقت الأصدقاء والأهل والأحباب، ورحلت إلى سكون الصحراء و لهذا إذا كانت الشجاعة ضربا من القوة و الإقدام ، فإن الركض فرارا نوعا من البطولة فالصعاليك لا يرون سببا يدعوا الإنسان إلى أن يرمي بنفسه في المشقات والأخطار، فيكون غذاء وعشاء للوحوش الضارة، وهذا ما دفع بالشعراء للحديث عن فرارهم.

ب- التكسب بالشعر:

قام بعض الشعراء باستحداث ظاهرة لم تكن موجودة في الشعر الجاهلي من قبل، وهي كثرة الارتحال والتنقل، والطواف بين البلدان لمدح ملوكهم، وأمرائهم، رغبة منهم لنيل رضاهم، وقبل هذا لنيل عطاياهم من مال، وإبل...وغير ذلك، فكان أي شاعر منهم، كلما احتاج إلى المال، ارتحل، و تنقل إلى الأمراء والسلاطين فيمدحهم لعله ينال منهم ما أراد

و من ثمة أصبح الشاعر الجاهلي يرى في الشعر وسيلة لكسب الربح، حتى أصبح الشعر يتخذ صفة التكسب، ومن هنا اصطلح عليه مصطلح "التكسب بالشعر"، حين إذن

(1)- ضياء غني لفتة : البنية السردية في شعر الصعاليك : ص 92-107.

أصبح التكسب بالشعر غرضا ونموذجا للارتحال، ومهنة "ثابتة" لبعض الشعراء، وأول من سلك هذا النوع من التجارة،"الأعشى" وإذا كان موقعنا من علمائنا الأفاضل في تقويمهم لشخصية "النابغة الذبياني" واتهامه بالتكسب بالشعر، فإننا لا نختلف معهم بشأن هذه الظاهرة التي نعتوا "الأعشى" بها إذ قال عنه صاحب الأغاني أنه هو أول من سأل بشعره وأنتجع به أقاصي البلاد[1]، و هذه الحقيقة أكدها صاحب "العمدة" حيث يقول بأنه "لما جاء الأعشى جعل الشعر متجرا به نحو البلدان، وأكثر العلماء يقولون، أنه أول من سأل بشعره"[2].

ولعل حكم العلماء على الأعشى، و دراستهم لسيرة حياته، تؤكد كلها على أنه كان يتاجر بشعره نحو البلدان، و هي من الأمور التي لا يمكن التشكيك فيها واعتراف الأعشى نفسه كان (يسفر) إلى أقاصي البلاد طمعا بالمال لا غير، وهذا الاعتراف ورد ضمن قوله:

وَ قَد طَوَّفتُ لِلمَالِ أَفَاقَه حَمَانَ فَحِمصَ فَأَورَشَلِيم

كذلك دراسة علماء السيرة للشاعر، التي كانت تشير في جوانب منها إلى أن الناس يعرفون مقدار شهيته للمال، وما كان يكسبه لممدوحيه (من علو منزلة)، ولعل قصة (المحلق) من أوضح الأمثلة، في هذا الاتجاه وخلاصتها أن "الأعشى" كان يوافي سوق عكاظ في كل سنة وكان "المحلق الكلابي"مئناثا" الذي اعتاد أن يلد الإناث مملقا، فقالت له امرأته:

يا أبا كلاب، ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر، فما رأيت أحدا أقتطعه إلي نفسه كلاًّ واكسبه خيرا؟.

وانصاع "المحلق" لنصيحة زوجته، وسبق إليه فأنزله ونحر له وأطعمه وحين سأل الأعشى عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه، وذكر البنات فقال "الأعشى" كفيت أمرهم وأصبح لعكاظ ينشده قصيدته الذائعة الصيت والتي مطلعها:

---

(1)- أحمد إسماعيل النعيمي : الشعر الجاهلي منطلقاته الفكرية ، و أفاقه الإبداعية ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت- لبنان ، 2010، ط1 ، ص78.

(2)-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر، 1955م ،ط2،ج1 ، ص43.

أَرَقتُ وَ مَا هَذَا السُهَادُ المُؤَرِقُ وَ مَا بِي مِن سُقمٍ وَ مَا بِي مُعشَقُ

ثم تخلص إلى مدح "المحلق" وإطرائه في السخاء وكرم أخلاقه و الناس يسمعون لا سيما قوله :

تَرَى الجُودَ يَجرِي ظَاهِرًا فَرقَ وَجهِهِ كُلَمَا زَانَ مَتنُ الهند وانِي رَونَقَ

نَفِي الذَمَ عَن آلِ المُحَلِقِ جَفنَةٌ كَجَابِيةِ الشَيخِ العِرَاقِي تَفَهَقُ

فما أتم قصيدته إلا والناس ينسلون إلى المحلق يهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون عليه جريا يخطبون بناته[1].

إن ما أكد صحة العلماء في رأيهم للأعشى، هو أن ربما اشتهاره بالخصال المذمومة وسعيه إلى تحقيق رغباته من خلال تكسبه بالشعر هي التي تؤكد ذلك ، ويمكننا أن نلمح إلى قضيته مع قريش حينما هم بإشهاره الإسلام عند ملاقاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم،و لكنه تراجع بعد ذلك لما قامت قريش بإغرائه إياه بالمال وبناءا على ما تقدم يتبين لنا أن الأعشى كان سفيرا لذاته، يقوم بمدح كل من يلبي متطلباته ويحقق رغباته، ويكرمه بالجاه و يهجو كل من تقاعس عن تلبية حاجاته، ولا يكرمه أحسن مكرمة أو من لا يقوم على ضيافته على أكمل وجه، سواء كان قصدا أولا، مثل "علقمة بن غلاثة" فقد أذاقه الأعشى هجاءا شديد المرارة.

بيد أن الذي يشفع للأعشى هو أن بروز المنفعة الذاتية في أشعاره التي أفرزتها (سفاراته) لم تحل دون وفاء الشاعر بالتزاماته القبلية، وتعلقه بانتمائه إلى قبيلته التي ظلت محببة إلى نفسه وهو يلوذ بها بعد أسفاره، وكأنه يرد على تساؤل خفي عن سر تعلقه، وهذا ما صرح به في بعض أشعاره كقوله:

أَبَا مِسمَعٍ إِنِّي امرؤ مِن قَبِيلَةٍ بَنَى لِي مَجدًا مَوتُهَا وَ حَيَاتُهَا [2].

كما أن الأعشى لم يغفل عن التعبير عن إحساسه وانتمائه القومي ،وهو في غمرة رحلاته، وطوافه بديار الأمراء و الملوك و بلاطاتهم، وديار قبائل العرب، فقد رأى هذا

(1)- أحمد إسماعيل النعيمي : الشعر الجاهلي منطلقاته الفكرية ن و آفاقه الإبداعية ، ص 79.
(2)- المرجع نفسه ، ص 80.

الشاعر بعض التجاوزات على بعض ديار العرب من قبل الأجانب كالفرس مثلا، من هنا ومن هناك .

ومن ذلك مديحه "لقيس بن معد يكرب" وهو يدعو قومه لمواجهة اعتداءات الفرس على الأرض العربية ضمن قوله:

و كَانَ دَعَا رَهطَهُ دَعوَةً هَلُمَّ إِلَيَّ أَمرِكُم قَد حُزِمَ

فَمُوتُوا كِرَامًا بِأَسيَافِكُم وَلِلمَوتِ يُبَشِشُ مِن حَشَمَ

أما دوره في يوم "ذي قار" فهو لا يحتاج إلى إعادة، لأن أشعاره في ذلك اليوم لا تخفى عن كل ذي إطلاع على تاريخ الشعر العربي، قبل الإسلام، من أنها كان لها أثرها في جمع كلمة العرب، والانتصار على الفرس[1].

فمع الإقرار المبدئي بأن الأعشى كان شاعر مديح، وأنه تكسب بشعره وقصد به جهات شتى حيث قال:

وَطُوفهُ لِلمَالِ آفَاقَهُ حَمَانَ فَحِمصَ فَأَورَشِلِم

يعني أن الشاعر كان كثير رحالة، كثير التجوال فهو قد ذهب إلى الحيرة ،وذهب إلى بادية الشام، ووصل إلى القدس (أوريشلم).

ويقول في قصيدة أخرى فهو يشفق على البنات المحرومات من رعاية الأب مما اضطره إلى طلب الرزق في ضرب في شعب وبلاد بعيدة، عندما قال "أضمرتك البلاد" "اليتم فهو يقوي المباعدة في الرحيل، و يمادي الزمن حتى يجف ،و تقطع منَّا الرحم"[2].

يقول الأعشى :

تقول أبنتي حيث جد الرحيل أرانا سواء و من قد يتـــم

أبانا فقد رمت من عندنا فإنا بخير إذا لم تـــــرم

(1)- المرجع السابق ، ص 81.
(2)- نسيمة راشد الغيث : النص الشعري العربي القديم ، مقاربات و إضاءات، دار جرير لنشر و التوزيع ، عمان– الأردن ، 2011، ط1،ص 28.

و يا أبتا لا تزل عندنـــا فإنا نخاف بأن تخـــــترم

أرانا إذا أضمرتك البلاد ـد نجفى و تقلع الرحـــــم

و هو يرد على ابنته قائلا :

أفي الطوف خفت علي الردي و كم من رد أهله لم يـــرم

و قد طفت للمال آفاقـــه عمان فحمص فأوريشلـــم

أتيت النجاشي في أرضـــه و أرض النبيط و أرض العجم

فنجران فالسرو من حميـــر فأي مرام له لـــــم أرم

و من بعد ذلك إلى حضرمـوت فأوفيت سمي و حينا أسـم[1].

ومن هنا يمكن القول أن حياة الأعشى هي صورة من الصور النادرة في الموازنة القائمة بين طلب الغني، والتمسك بالإحساس القبلي والانتماء القومي.

جـ –التجارة:

منذ أن خلق الإنسان على الأرض، وهو يعرف التنقل والسعي فيها، والإنسان العربي في شبه الجزيرة العربية كغيره من بني البشر كان دائم الترحال بحكم طبيعة حياته التي ترتبط أول ما ترتبط بالماء والكلأ، فضلا عن حركته الدائمة للرعي والتجارة.

وتشير كتب المؤرخين إلى أن العرب منذ ما قبل الإسلام، كانت لهم تجارة نشيطة سافروا لها خارج أوطانهم برا و بحرا، وأغلب الظن بأنهم عرفوا الملاحة ،والإبحار منذ القديم، وقد اشتهروا بالتجارة مع شعوب إفريقية في شمالها و شرقها، وأيضا في شرق الجزيرة، حتى الهند وما ورائها بدليل ما ورد في بعض المصادر من أن "لإسكندر الأكبر" فكر في غزو الجزيرة العربية وأنه ارتأى أن يتم ذلك عن طريق موانئها على الخليج العربي حتى يقطع صلاتها بأسواقها بإفريقيا والهند، وهي الأسواق الرئيسية التي مونت العربي بالثراء، وبذلك يقطع عليهم هذه الموارد، كما أراد أن يقضي على سيادة العرب على الخطوط البرية البحرية.

(1)- نسيمة راشد الغيث: النص الشعري العربي القديم ، مقاربات و إضاءات، ص 28-29.

كانت للعرب رحلات تجارية مزهرة خاصة مع العراق والشام واليمن وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدوينا خاصا شاملا لها أو جامعا اللهم إلا ما ورد متناثرا في قصائد الشعر و كتب اللغة[1] وعن بعض هذه الرحلات يذكر القرآن الكريم "رحلات قريش" الشهيرة" لِإِيلَافِ قُرَيْشْ "1" إِلَا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِتَاءِ وَ الصَيْفِ"2" فَلْيَعبُدُوا رَبَ هَذَا الَبيْتِ "3" الَذِي أَطعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ "4" "[2].

ويؤكد كذلك بقول الشاعر "عمر بن كلثوم" في هذا البيت :

مَلَأْنَا الَبرَ حَتَى ضَاقَ عَنَا وَظَهرُ الَبحرِ تَملَؤُهُ سَفِينَا [3].

ويتجلى في الشعر الجاهلي الكثير من صور القوافل التجارية، والأسواق التي كان يتم التعامل فيها بنظام المقايضة أو بالنقد بين الدراهم والنقود التي تتردد في الشعر الجاهلي: الدينار الذهبي، والدرهم، وصورة تجارة الخمر التي تعد من أكثر صور التجارة التي تمر في الشعر الجاهلي، حتى غلب لفظ التاجر على بائعه[4] ونجد هذا اللفظ في شعر امرؤ القيس لما قال:

إِذَا ذُقتَهُ فَاهَا قُلتَ طُعمَ مَدَامَةٍ مُعَتَقَةٍ مِمَا تَجِيءُ بِهِ التُجُرُ

وقال أيضا:

كَأَنَّ التُجَارَ أَسعَدُوا بِسَبِيئَةٍ مِنَ الحَصِّ حَتَى أَنزَلُوهَا عَلَى يُسرِ [5].

وقول لبيد بن ربيعة:

يُطَرِّبُهُ أَنَاءَ النَهَارِ كَأَنَهُ نَوَى سَقَاهُ فِي التُجَارِ نَدِيهُ[6].

(1)- حسين محمد فهيم : أدب الرحلات عالم المعرفة ، ص 25-26 .
(2)- قريش ،1-2-3-4.
(3)- حسين محمد فهيم : أدب الرحلات عالم المعرفة ، ص 27.
(4)- نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ص 55.
(5)- امرؤ القيس، الديوان: دار صادر ، بيروت – لبنان ، 2007م ، ط3 ، ص 99 .
(6)- لبيد بن ربيعة، الديوان: دار صادر ، بيروت – لبنان ، 2008 م ط2 ، ، ص 182.

وكما نجد كذلك هذا اللفظ (تاجر) في شعر الأعشى (ولقد شهدت تاجر) وعنترة العبسي (هناك غايات التجار) وأوس بن حجر (دن التجر) وغيرهم من الشعراء ونرى في الأسواق منسوجات منتشرة:

من نسج بصري و المدائن نشرت للبيع يوم تحضر الأسواق

ونشاهد البضائع الجلدية فوق مبناه، يطوف بها بائع وسط زحام المشترين وجلبتهم.

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَامِسَاتِ ذُيُولَهَا عَلَيهِ قَضِيمٌ نَمقَتْهُ الصَّوَانِـعَ [1].

عَلَى ظَهرِ مَبنَاه جَدِيدٌ سُيُورَهَا يَطُوفُ بِهَا وَسطَ اللَطِيمَةِ بَائِعٌ [2].

وكما نرى في الأسواق الجاهلية بوجد بائع ويوجد مشتري هو ما يوجد كذلك أيضا في أسواقنا اليوم، حيث يعترضنا بائع فنحاول أن نصرفه فيأبى إلا أن يوقفنا، وسنضرب مثلا "بالنابغة الذبياني" عندما كان في سوق "ذي المجاز" فقال:

كانت تساقطني رحلي و ميثرتي بذي المجاز و لم تحسس به تعما [3].

من صوت حرمية قالت و قد رحلوا هل في مخفيكم من يشتري أدما [4].

فقلت لما سعت من تحت كلكلها لا تحطمنك إن البيع قد زرمـــا [5].

وعند ما يتحدث الشعراء الجاهليون عن السفن في التجارة البحرية يوردون صورا للسفن كسفن المنادرة التي ترد سفن الأنباط إلى التلال، ويفتنون في تصوير هياج البحر ويصورون الملاحين وقت اصطحاب الأمواج إذ يحطون القلاع ويرخون الزيار، ولذلك نجد في ديوان "بشير بن أبي حازم" يصور فيها ركوبه سفينة معبدة الشقائق موتقة الدواسر محملة الطيوب للرند، والمسك، والسلاح[6].

---

(1)- الرامسات : الرياح ، القضيم : صناعة جلدية.
(2)- نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ص 55-56 ن مبناة : مشتقة من العمل و أعتقد أنها شيء يشبه العربة.
(3)- المثيرة : كساء يوضع على ظهر البعير .
(4)- الحرمية : امرأة من أهل الحرم.
(5)- زرم : انقطع و انتهى.
(6)- نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ص 57. 58

و قال:

فقد أوقرت من قسط و رند و من مسك أحم و من سلاح

يشبه النابغة الذبياني "الثور الوحشي" بعد أن فزع من القتال الكلاب بـ "بشير بسفينة تهدي رماحا" ويمدح" النعمان بن المنذر" فيقول:

و له بحر يقمص بالعدولي و بالخلج المحملة الثقـال

مخر بالقصور يذود عنها قراقير النبيط إلى التلال[2].

ويمكننا أن نقدم إجمالا عن رحلات أخرى وهي رحلات بحرية رسمية لأن هناك دلائل تشير إلى رحلة بحرية إلى بلاد بنت في عهد "خوفو" فرعون مصر، الذي حكم حوالي ألف الثالثة ق،م، وهناك الرحلة البحرية الشهيرة في عهد الملك "حتشبسوت" إلى بلاد بنت في حوالي 1500ق،م لإستيراد البخور والعطور، وقبل هاتين الرحلتين هناك إشارة إلى رحلة بحرية إلى الشام و جزر البحر الأبيض حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد، تمت في عهد سنفرو سنة 3200 ق،م وكانت مؤلفة من 40 سفينة وقد كلفها الملك باستحضار الأخشاب الملائمة لصناعة السفن.

وهناك طرق برية في اتجاه جنوب القارة إلى بلاد "كوش" وبلاد "يام" والتي تدل على تنظيم الرحلات البرية، واتخذت هذه الطرق سبيلا لبلوغها أهدافها سواء للتجارة أو للبحث عن الفارين، و للبحث عن منابع النيل، ومثل هذه الرحلات البرية تمت عبر سيناء ،وفلسطين إلى الشام ووادي الرافدين ،ولا بد أن رحلات متشابهة كانت تتم بين العراق وبلاد فارس وبين الشام وآسيا الصغرى ولكنهما مهما بلغت من الحيوية ،والازدهار فلا مجال لمقارنتها بالرحلة بعد الإسلام لأن العالم المغمور آنذاك اتخذ شكلا آخر وانتقل إلى عصر جديد[1].

د- البحث عن مباهج الحياة :

إذا تتبعنا الحياة في العصر الجاهلي نجد بأن هناك أفراد ارتحلوا من مواطنهم بغية البحث عن لذة العيش واللهو، والبحث عن متاع الدنيا، و قد مر بنا قول عمر بن كلثوم حيث يقول:

(1)- حسين محمد فهيم : أدب الرحلات عالم المعرفة ، ص 27.

و كَأَسٍ قَد شَرِبتُ بِبَعلَبَك وَأُخرَى فِي دِمَشقَ وقاصِرِينَا [1].

وهنا لا يمكننا أن نستبعد أن يكون ذهاب عمرو إلى تلك الأماكن بغرض الاستمتاع بالشرب فقط ،وإنما ربما كان تاجرا أو رائدا لقومه ،وهذا ما يجعل للارتحال أكثر من سبب في لحظة واحدة فالأعشى مثلا يرحل من موطنه إلى عدة بلاد لكسب الأموال بمدائحه وكذلك للاستمتاع بمباهج الحياة يقول:

و أَجِدُكَ وَدَّعتَ الصِبَا وَالوَلَائِدَ وَأَصبَحتَ بَعدَ الجُورِ فِيهِنَ قَاصِدَا

وَ مَا خِلتُ أَن أَبتَاعَ جَملًا بِحكمَة وَ مَا خِلتُ مِسرَاسًا بِلَادِي وَ مَا رِدَا [2].

فقد كان الأعشى ماجن أثناء ترحاله تستهويه الجواري والقيان، وتجذبه مجالس الشراب والغناء.

كما أن اللحاق بالحبيبة والارتحال لأجلها يعد من مباهج الحياة فقد ورد في أخبار الجاهليين أن المرقش الأكبر رحل من العراق إلى اليمن ليرى ابنة عمه أسماء، وفي ذلك يقول طرفة بن العبد[3]:

ترحل من أرض العراق مرقش على طرب تهوى سراعا رواحله

إلى الشرق أرض ساقه نحوها الهوى و لم يدرأن الموت بالسر و عائله [4].

وإن الارتحال من اجل الحبيبة يشبه كذلك الارتحال لملاقاة الأصحاب يقول زهير بن أبي سلمى:

تأويني ذكر الأحبة بعدما هجعت و دوني قلة الحزن فالرمل

فأقسمت جهدا بالمنازل من مي و ما سحقت فيه المقادم و القمل

لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن إلى الليل إلا أن يعرجني طفل

(1)- الزوزني"أبو عبد الله الحسن بن أحمد" شرح المعلقات السبع ، تحقيق وشرح أحمد شتيوى ،دار العز الجديدة ،القاهرة، 2006، د ط، ص 129.
(2)- الأعشى : ديوانه، ص 67.
(3)- طرفة بن العبد : ديوانه ، ص 122.
(4)- سرو : حمير و هناك مات المرقش.

وبحكم الطبيعة القاسية والظروف التي يعيشها الإنسان العربي فقد كان كثير القلق ويعاني من كثرة الهموم فيجد في الارتحال سلوى، وعزاء عن همومه حتى يتخلص منها، وقد ورد ذلك في الشعر الجاهلي ومنها قول لبيد بن ربيعة:

وَ كُنتُ إذا الهُمُومُ تَعَرَّضَتنِي وَضَنَّت خِلَّةٌ بَعدَ الوِصَال

صَرَمتُ حِبَالَهَا وَ صَدَدتُ عَنهَا بِنَاجِيَةٍ تُحِلُّ عَنِ الكِـــلَالِ[1].

فلبيد بن ربيعة كان يستعين على الهموم بالارتحال على ناقة قوية سريعة لا يعتريها العجز، ولا الوهن وهذا ما يؤكد أن لبيد قد أصر على فكرة الارتحال ليتناسى الهموم[2].

كما أن عجز المكان عن تلبية كل ما يحتاجه الإنسان العربي قاطن الصحراء من مستلزمات مادية تدفعه إلى الرحيل ،و مغادرة المكان إلى مكان آخر بحثا عن مباهج الحياة وقد يكون حتى بالغزو ويقول عمر بن كلثوم[3].

حَلَبنَا الخَيلَ مِن كَتِفَيِ أَرِيكٍ[4] عَوَابِسَ يَطلُعنَ مِن النِقَابِ

صَبَحنَاهُنَ عَلَى عِرضِ تَمِيمَا وَ أَتلَفنَ رَكضُنَا جَمعَ الرَبَابِ

فَأَفنَينَا جُمُوعَهُم بِنَـــاجٍ وَكَرَّت بِالغَنَائِمِ والنِهَابِ

فقد ارتحل عمر بن كلثوم بفرسانه من أريك إلى أن بلغوا ديار تميم والرباب فحاربوهم و انتهبوا أموالهم ثم كروا راجعين إلى ديارهم.

(1)- لبيد بن ربيعة : شرح ديوانه ، حقيقة و قدم له إحسان عباس ، 1984 م، ط2 ، مطبعة حكومة الكويت ، ص 75.
(2)- المصدر نفسه ، ص 247-248.
(3)- فاروق أحمد سليم : الانتماء في الشعر الجاهلي : من منشورات إتحاد الكتاب العرب ، 1998م ، ص 229.
(4)- أريك : جيل .

الـفـصـل

الـثـانـــي

I- الفصل الثاني: وصف الطبيعة الجامدة و الحية في شبه الجزيرة العربية من خلال الارتحال

1- ضلال الطبيعة الجامدة على شكل القصيدة ومضمونها

2- وصف الناقة

أ- الثور الوحشي

ب- الحمار الوحشي (الأتان)

جـ- النعام

د- اللقوة

3- وصف الخيل

أ- العقاب

ب- القطاة

4- وصف الصحراء

5 - وصف رحلة الظعائن

III- الفصل الثاني:

1- ظلال الطبيعة الجامدة على شكل القصيدة و مضمونها :

الطبيعة الجامدة هي المنطقة الصحراوية التي يقطنها الجاهليون بجبالها وسهولها ووديانها وغير ذلك، و المقصود بالمنطقة الصحراوية هي شبه الجزيرة العربية بحدودها المعروفة فهي تقع في الجنوب الغربي من آسيا يحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي، وعمان أما في الشمال فتحدها بادية الشام والعراق[1].

تبلغ شبه الجزيرة العربية "ثلاثة ملايين كيلومتر مربع وسميت جزيرة من قبيل التوسع لأن الماء لا يحيط بها من جهتها الشمالية"[2].

ونظرا لاتساعها فإن مناخها متباين من منطقة لأخرى، ولذلك كان لزاما لهذه الصحراء أن ترمي بظلالها على هؤلاء الأعراب البسطاء مع تقلباتها دون تذمر أو اعتراض فالعربي ساكن البادية على الرغم من كثرة ارتحاله قد اعتاد على هذه الطبيعة ،وتأقلم معها كيفما كانت، وإن كانت حدود ترحاله داخل حيز ضيق لا يخرج عن محيط البيئة الصحراوية باستثناء الرحلات التجارية، وإن الشاعر الجاهلي الذي نشعر عند قراءتنا لشعره أنه يصور واقع الحياة التي يعيشها بكل أشكالها، وألوانها على الرغم من ضعفه من حيث المشاعر الخيالية حيث يتطرق إلى معاني متجددة وجد متنوعة مستوحاة من واقعه المعيشي والتي "يتمثل في وصف الحبيبة وأثار المنازل المهجورة والتعبير عن الشوق الذي يثيره رحيل الحبيب، و يهيجه حنين الإبل وسجع الحمام ،ولمسات النسيم ثم معاني الوصف ،وهي مأخوذة من الطبيعة المحيطة بالشاعرن وتحتل الإبل المكانة الأولى ثم الخيل، والحيوانات

(1)- سعد بوفلاقة : دراسات في الدب الجاهلي / منشورات باجي مختار عنابة ، 2006 م ، د ط، ص 6 .
(2)- المرجع نفسه ، ص 6 .

المفترسة والطيور والحشرات والنباتات والسماء والسحب والمطر هذه هي أهم خصائص الشعر الجاهلي حيث يغلب تأمل الصحراء، وما يضمها من كائنات وأشياء [1].

2- وصف الناقة (الراحلة):

لقد كان الإنسان العربي له علاقة وطيدة بالناقة أو الراحلة، التي من المستحيل تصور حياته دونها، فلم يترك الإنسان الجاهلي صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بها، فالناقة كانت المحور الأهم التي تدور حول حياة العرب في الجاهلية، فهم يقتاتون من لحمها، ويشربون من لبنها، ويلبسون من وبرها، فقد كانت سفينة صحرائهم التي تشاركهم مشقات السفر وتساعدهم على أعباء الحياة.

ولقد أولى العرب الإبل عناية خاصة وتعاهدوها بالرعاية الكريمة للمنافع التي عادت بها عليهم، فقد استعانوا بها في التنقل والأسفار، واتخذوها موارد رزقهم، كما كانت عونا لهم في الحروب ولقيمتها العظيمة تلك كانوا يوزنون ثروة المالكين بأعدادها عندهم، حتى إذا ما قالوا : مال فلان عنوا به ما يملك من الإبل ، فهم يصطفون منها خيارهم المتمثلة بالسمان ينحرونها لضيوفهم ويطعمونهم أسمنها فقال بشر بن أبي حازم:

تَرَى وَدَكَ السَّدَيْنِ عَلَى لِحَامِهِ كَلَوْنِ الرَّاءِ لَبَّدَهُ الصَّقِيعُ [2].

كان الإنسان الجاهلي له علاقة بالراحلة و شعرها، فيها كانت تقاس مقدار فروسيته في الحروب و قدرته على الأسفار في الهواجر، حتى أن العرب يفتخرون بإقران الناقة إلى الفرس في أسفارهم فمتى احتاجوا لأي منها استعملوه يقول"سلمة بن الخرشب الأنصاري وكان فارسا من بني أسد:

مُقْرِونُ أَفْرَاسَ لَهُ بِرَوَاحِلٍ فَهَا وَلَنَهُمْ مُسْتَقْبِلَاتٌ هَوَاجِرُ [3].

(1)- عروة عمر : الشعر الجاهلي حياة العرب الأدبية ، ص 194..
(2)- جليل حسن محمد : قراءات نصيبه في الشعر الجاهلي ، ص 37 .
(3)- آسية الهاشمي البلغيتي التلمساني : وصف الراحلة في الشعر الجاهلي ، ص ، 13-17.

هذا زيادة على صلتها الوثيقة بميلاد الشعر الجاهلي، ونشأته الأولى في مهده، فمما لا جدل فيه أن للسجع أقدم القوالب الفنية العربية، وتطور مع الزمن حتى ترقى إلى بحر الرجز.

وكما هو معروف أن الأوزان العروضية كما قيل قد تم بناؤها عن طريق فني غنائي هو حداء، والحداء كان العرب في الجاهلية يحدون به في راحلتهم من اجل أن تسرع في السير، وكان واضعه الأول هو"ابن جناب الكلبي".

وهكذا نجد من جملة الأيادي البيضاء التي لهذه الراحلة على العرب، أنها كانت السبب المباشر في ميلاد أحب الفنون إلى نفوس العرب ،و أعقلها بقلوبهم الشعر، حتى إنهم جعلوه ديوانا لهم، يكفينا دليلا على المكانة المرموقة التي كانت تحتلها الناقة في نفوس العرب الصحراويين أنها كانت السبب الرئيسي في حرب البسوس[1].

وقد قدس القرآن الكريم الناقة حيث قال الله تعالى في سورة الشمس.

"كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15) "[2].

وهذا يدل على اهتمام القرآن الكريم بالناقة التي لا تقل أهمية عن اهتمام العرب بها.

إن الكثير من شعراء الجاهلية قد قاموا بوصف الناقة أو الراحلة بكثير من الصفات في إشعارهم و قصائدهم، فعمدوا إلى ذكر محاسنها، والتقصي في وصف جميع أعضائها بالوصف الدقيق ولعل أبرز الشعراء الذين لهم فضل السبق في وصف الناقة فإننا نذكر امرؤ القيس لما له من الأولوية باعتباره الرائد الأول في المنهج ،والأغراض والمعاني والصور والأوزان.

(1)- المرجع السابق ، ص 15.
(2)- الشمس ، 10 .

تحضى الناقة بأكبر قدر من صور الحيوان في الشعر الجاهلي، ونرى لها ثلاث صور رئيسية: صورة ناقة الأسفار، وناقة القرى، وناقة السانية.

وفي صورة الناقة صفات مأخوذة من حيوانات وهمية مثل: العنتريس والعفرناة ومن عناصر طبيعية مثل العرمس[1]كقول زهير بن أبي سلمى:

كَلَفْتُهَا عِرمَسًا ، تُـذَافِـرَةً حَارَتْ هِبَابِهِ ، فَعمًا مَنَاكِبُهَا [2].

ومن عناصر حيوانية: كالعنس حيث قال زهير بن أبي سلمى:

فَوَقَعتُ ، بَينَ قَتُودِ عَنسٍ ضَامِرٍ لَمَّاظَةٍ،طَفَلَ العَشِيِّ،سِنَادِ [3] .

أو عيرانة ، من العير وهو حمار الوحش لقول النابغة الذبياني:

فَعَد عَمَا تَرَى إِذ لَا إِرتِجَاعَ لَـهُ وَانِيَ القَتُودِ عَلَى عَيرَانِهِ أَجُدِ [4].

وقد أعطى شعراء الجاهلية صورا لنياقهم تدل علي الضخامة والإقدام ،وعلى الامتلاء والضمور حيث قال زهير بن أبي سلمى:

وَانِيَ القَتُودِ عَلَى وَجنَاءَ دَوسَرَةٍ يَحرَي الجَدِيلُ إِذَا مَا حَأيُهَا عَرِقَا [5].

وقال النابغة الذبياني:

جَاوَزتُهُ بِعَلَندَاةٍ مُـنَاقَـلَـةٍ وَعَرُ الطَرِيقِ عَلَى الأَحزَانِ مِضمَارُ [6].

---

(1) – نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص 87 .

(2) - زهير بن أبي سلمى ، الديوان: شرح و تقديم علي فاعور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003م ، ط3 ، ص 28 ، العرمس = الناقة ، الشديدة الصلبة .

(3)- المصدر نفسه ، ص 50.

(4) - النابغة الذبياني، الديوان: شرح و تقديم عباس الساتر ، منشورات العلمية ، بيروت ، لبنات ، 2004م، ط1 ، ص 10 ، العيران = الناقة المشبهة بالعير ، أي الحمار الأليف أو الوحشي .

(5)- زهير بن أبي سلمى، ديوان: ص ،74 ، وجناءت الناقة الضخمة الوجنتين ، الدوسرو : الضخمة

(6)- النابغة الذبياني، الديوان ، ص 19 ، مضمار : الموضع الذي يضمر فيه الخيل و جاءت الدلالة على ضمور الخيل .

أما الناقة القوي فيغلب أن تراها معدة للذبح أو نراها في القدور، ويعتز الشعراء بناقتهم التي يقرون بها ضيوفهم، أما السانية فصورتها مرتبطة بالبكاء على الطلول، ونشاهدها دهماء

قد حزم ظهرها بالقتب[1]: كقول زهير:

لها متاع ، و أعوان ، غدون به قتب ، وغربة ، إذا ما أفرغ انسحقا [2].

أما إذا رجعنا إلى وصف الناقة فإننا نجد الكثير من الشعراء من أسرفوا في وصفها، وهناك أربعة حيوانات تشبه بهما الناقة بصورة مفصلة وهي: ثور الوحش أو(بقرة الوحش)، والحمار الوحشي(الأتان) والظليم و اللقوة [3].

أ- الثور الوحشي:

كثر في الشعر الجاهلي تشبيه الراحلة بالثور الوحشي كقول امرئ القيس في هذا المجال:

قَد أَقطَعُ الأَرضَ وَسيَ قَفرٌ وَ صَاحِبِي بَازِلٌ شِمِلَالٌ

نَاعِمَةٌ نَائِمٌ أَربَلُهَا كَأَنَّ حَارِكَهَا أَثَالٌ [4] .

فامرؤ القيس قد أقام هذه الصورة على التشبيه بين راحلته والثور الوحشي، ووجه الشبه بينها، اختلاف لونيهما عن لون الأرضية العامة ألا وهو الرمال، مما يجتازه على راحلته من الفيافي والقفار وإنما للطبيعة الحية المتحركة فهاتان البيتان صورة صادقة لحياته الحقيقية التي عاشها متنقلا على ظهر راحلته بين الفيافي والقفار، فهي سريعة خفيفة، كأنها في سرعتها ، ذلك الثور المسن.

(1)- نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، ص 91 .
(2)- زهير بن أبي سلمى، الديوان: ص ، 74 ، القتب = آداة السانية و السانية الناقة يسقى عليها .
(3)- ريناتة باكوبي : دراسات في شعرية القصيدة العربية الجاهلية ، ترجمة موسى ربابعة ، دار جرير للنشر و التوزيع، عمان الأردن ، 2011 م ،ط2 ، ص 69 .
(4)- امرؤ القيس، الديوان ، ص 159 .

فالشاعر يجتاز البيداء بناقته الفتية الأسيلة الوجنتين الخفيفة الحركة، التي تختلف في لونها وشكلها، بل وفي جوهرها بانتمائها للطبيعة الحية المتحركة، وهي لصحتها وقوتها مكتنزة لحما صلبة البنية تسير بسرعة خارقة، جعلت شاعرنا تتوارد خواطره[1].

ب- الحمار الوحشي (الاتان):

كما شبهت الراحلة بالأتان الوحشية فيقول لبيد بن ربيعة العامري:

أتيك أو سمح تخيرها ... علج تسري نمائصا تسبا

فاختار منها مثل المريدة لا ... تأمن منه الحذار والعطبا [2].

جـ- النعام:

النعام هو ثالث الحيوانات التي ترتبط صورتها بصورة الناقة عند شعراء الجاهلية في وصفهم لراحلة فهي تشبه في سرعتها بسرعة النعامة أو الظليم ،و الأمثلة كثيرة في الشعر الجاهلي ، تؤكد ولع شعرائه بسفينة الصحراء ،و تقديرهم لفائدة سرعتها لهم اشتقاقهم وما شبهوها به من صميم بيئتهم وواقع حياتهم [3] كقول الأعشى :

و شيملة حرف كأن قتودها ... جللته جون السراة خفيددا

و كأنما ذوجدة غب السري ... أو قاح يثلو نمائص جدد[4].

د- اللقوة:

لقد شبهت الناقة في نصوصنا مرة واحدة باللقوة بحيث لا نستطيع حول هذا النمط من التشبيه بأقوال يركن إليها لكننا نستطيع أن نقدم مثالا آخر، شبه فيها الحصان باللقوة في

(1)- آسية الهاشمي البلغيتي التلمساني ، ص 30-31.
(2)- لبيد بن ربيعة، ديوان: دار صادر بيروت ، بيروت لبنان ، 2008 م ، ط1 ، ص 21.
(3)- آسية الهاشمي البلغيتي التلمساني : وصف الراحلة في الشعر الجاهلي ، ص 33-36.
(4)- ريناتا ياكوبي : دراسات في شعرية القصيدة العربية الجاهلية ، ص 71.

حالة مماثلة، و تظهر اللقوة في كلتا الحالتين من خلال صفاتها على أنها طير جارح فحين تغذي صغارها فإنها تفترس الأرانب و الطيور، لذا فإن الثعالب أيضا تنحدر منها[1].

وهناك صور نادرة في الشعر الجاهلي وصفوا بها الناقة وهو تشبيهها بالسفينة كقول" بن الغدير"

إِذَا أَقبَلَت قُلتَ مَذعُورَةٌ مِن الرَمدِ تَلحِقُ هَيقًا دَمُولاً

وَإِن أَدبَرَت قُلتَ مَسحُونَةٌ أَطَاعَ بِهَا الرِيحُ قَلعًا جَفُولاً [2].

وهناك شاعران آخران رسما صورة للناقة لكنهما شبها الظعائن بالسفينة كالمرقش الأكبر، طرفة بن العبد هذا الأخير الذي شبهها أيضا بالقنطرة فقال:

عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طورا أو يهتدي [3].

و قال : " كقنطرة الرومي أقسم ربها لتكتنفن حتى يشاد بقرمد [4].

ويعتبر طرفة بن العبد هو الوحيد الذي قدم وصفا دقيقا للناقة حيث وصف أعضائها من الخلف إلى الأمام أي أن الشاعر ينتقل من أجزاء الجسد الأقل جمالا إلى الأجزاء الأكثر جمالا ،وهو الوصف الذي يقوم على أسس واضحة ،و يمكن أن يكون السبب هو أن هذا الوصف ضل محفوظا على هذا النحو المفصل لأنه وصف ذيلها وفخذها، وفقرات الظهر، والأضلاع والإبط، الرجلان الأماميتان والأفخاذ الأمامية، الكتف، الرقبة، الجمجمة، الخد، المشفر...الخ وهذا ما تجلى في معلقته فقال:

وَ إِنِي لَأَمضِي الهَمَ عِندَ احتِضَارِهِ بِعَوجَاءَ مِرقَالٍ تَرُوحُ وَتغتَدِي

أَمُونٍ كَأَلوَاحِ الأَرَانِ نَسأَتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَهُ ظَهرُ بُرجُدِ

(1)- آسية الهاشمي البلغيتي التلمساني : المرجع نفسه ، ص 36 .
(2)- الأعشى، الديوان : دار صادر بيروت – لبنان ، 2003 م ، ط3 ، ص 55 .
(3)- طرفة بن العبد، الديوان: دار صادر بيروت ، د ت، د ط، ص 20 .
(4)- المصدر نفسه، ص 25 .

تَبَارَي عِتَاقًا وَاتَبَعَـــــت وَظِيفًا وَظِيفًا فَوقَ مَورٍ مَعبَـدِ[1] .

نحن نعلم أن القبائل العربية في البادية ترتحل بأموالها وأهلها، متبعة موقع العشب والمطر ومنابت الكلأ وحياة التنقل والارتحال أحدثت في حياتهم الاجتماعية مظاهر النجعة وهي الانتقال إلى البادية في مواسم المطر، والتنقل في أنحائها ،وهذا التنقل كان له اثر كبير على الشعراء الجاهليين حيث كانت أيام النجعة مجالا للقاء الشباب والمتحابين، و لكن سرعان ما يدق ناقوس الفراق، فيصدمون صدامات عنيفة، وتنفطر بها القلوب، وهم يتبعون الظعائن، فكانوا يمتطون رواحلهم للحاق بهم[2].

فقال النابغة الذبياني :

فَلَأيًا بُعدُ لَأيِ أَلحَقتَنِـــي بِأَولَى الطَعنِ ذَيلِبَةَ أَمُـــونُ

رَفَونَ الـرَحـلِ طَامِحَـــةٍ إِذَ أَتقَدَ الصَعَاصِعُ وَالصُئُونُ [3].

وفي هذا المقطع من البيت الشعري نجد أن النابغة الذبياني تتبع أثر الظعائن التي فيها محبوبته، على راحلته السريعة الخفيفة التي ألحقته بالقافلة.

وقد اعتاد شعراء العرب الجاهلية، أن يذكروا في أشعارهم كل ما هو متعلق بأحوال مجتمعهم في الحل والترحال في السر والعلانية، فكانت راحلتهم من أهم ما اعتنوا به في أشعارهم، وإذا كانوا قد تفننوا في وصفها، فإنهم قد اتخذوها وسيلة للحاق بركب المحبوبة[4]، وهذا ما يظهر في شعر لبيد بن ربيعة:

صرمت حبالها و صددت عنها بناجية تجل عن الكـــلال

عذافرة تقمص بالرد في تحونها نزولي و ارتحالي[5] .

(1)- المصدر السابق : ص 22.
(2)- آسية الهاشمي البلغيتي التلمساني : وصف الراحلة في الشعر الجاهلي ، ص 58
(3)- النابغة الذبياني، الديوان: ص 35.
(4)- آسية الهاشمي البلغيتي التلمسانب : وصف الراحلة في الشعر الجاهلي ، ص 61 .
(5)- لبيد بن ربيعة، الديوان: ص 104-405.

فهو قد قطع أسباب مودته مع حبيبته وهجرها بركوب راحلته ومغادرتها، ونستشف صورة الغضب لكرامته في قوله" تجل عن كلال" فناقته أو راحلته أعظم قوة من أن يصيبها التعب.

وهناك معاني أخرى عديدة حيث كان بعض الشعراء في الجاهلية يفتخرون بإتعاب رواحلهم، وقد تفننوا في هذا المعنى ومثال ذلك قول حسان بن ثابت:

وَأَعمِلُ ذَابِلَ اللَّوهِ حَتَى أُرِدِهَا مُبَدَدَةً أَحلَاسُهَا لَم تَشَدَدِ

ترى أثر الأنساع فيها كأنها موارد ماء ملتقاها بغد فد

وحسان بن ثابت هنا يباهي بأنه يتعب ناقته القوية حتى يضعفها فتتبدد أحلا سها وتتحرك الأنساع على جنبيها بحركة قوائمها حتى تحدث في جلدها حفرا، لكن سرعان ما تمتلئ بما ينضج منها من عرق[1].

ويصل شعراء الجاهلية إلى درجة عالية من الشعور، إذ ينادونها، فهم يجردون منها أشخاصا ويخاطبونها كقول عبيد الأبرص:

يَا نَاقَةً كَسَوتُهَا الرَحلَ وَالأَ نسَاعَ رَسمًا كَأَنَهَا حَمَلٌ

تَختَرِقُ البَيدَ وَالفَيَافِي إِذَا لَاحَ سَمِيلٌ كَأَنَهُ قَبَلٌ

ولقد عجز كل شعراء الجاهلية بدون استثناء عن بلوغ هذه المرتبة في إعطاء راحلتهم هذه القدرة على التجاوب معهم، فهم قد مزجوا بين شعورهم وشعورها إلى درجة أنها نابت عنه في البكاء ولعل أروع معنى في هذا المجال على الإطلاق قول عمرو بن معد يركب:

مَا زِلتُ أَحبِسُ يَومَ البَينِ رَاحِلَتِي حَتَى أَسمَرُوا وَأَدَرتُ دَمعَهَا سَرَبَا

فهو حبس راحلته يوم الفراق حتى لا تنطلق في أثر الظعائن وما كان في الحقيقة يحبس نفسه، إلى أن انطلق المركب بالظعائن، وفيهن أخته فأطلقت راحلته لدموعها العنان،

(1)- آسية الهاشمي البلغيتي التلمساني : وصف الراحلة في الشعر الجاهلي المرجع نفسه ، ص 64 .

فانسابت على وجهها أو وجنتيها سائلة غزيرة مدرارة، وضمن هذه المعاني النادرة نعثر على هذه المزاوجة بين الراحلة والمحبوبة "لعمرو بن جأشي" ولعلها مرحلة متطورة وفي هذه يقول:

إِذَا نَحنُ أَدلَجنَا وَ أَنتَ أَمَامَنَا كَفَا لَمِطَايَانَا بِوَجهِكَ هَادِيَـــا

أليس يزيد العيـــش حقه أدرع و إن كن حسري أن تكرني أمامنا

ولقد مزج الشاعر بين ناقته وحبيبته، أو بين الشعر والراحلة والغزل، بكيفية تدعو للإعجاب و تشهد له بطول الباع في ميدان الشعر عموما[1].

إن الحديث عن كل هذه الأشياء عن الناقة أو الراحلة فإنما يدل على المكانة السامية والراقية التي احتلتها في نفوس الشعراء، والإعجاب المطلق بها إلى درجة أن خصصوا لها جزءا كبيرا من عواطفهم ولا يكاد يخلو منها شعر شاعر، مما خلدوها في تاريخ الأدب العربي ولهذا يجب علينا أن ننظر إلى الراحلة أو الناقة كجزء أساسي من تراثنا العربي والمحور الأهم في موضوعاتنا الأدبية.

3- وصف الخيل :

قال بلغراف"إن الخيول العربية، وهي قوية وعصبية ورشيقة ومفتخرة بعنقها، مختالة في مرتعها مثال للأناقة في شكلها والكمال في صفاتها، وهي برؤوسها الصغيرة النحيفة، وأحداقها الوهاجة ومناخرها الواسعة وكواهلها الناهضة وجوانبها الممتلئة القصيرة وأكفالها الطويلة، وذيولها المتموجة وقوائمها الدقيقة المتينة عنوان الجمال، وهي بدعتها وبأسها وقناعتها وسرعة عدوها تفضل أحسن الأنواع الأوروبية"[2].

إن "بلغراف" في هذا القول قدم لنا وصفا نموذجيا للخيول العربية دون التطرق إلى الوصف الدقيق لها الذي نجده عند شعرائنا الجاهليين ،فالشاعر الجاهلي كانت الخيل تحتل مكانة مرموقة بنسبه له فبها تقاس مقدار فروسيته وشجاعته وشهامته ،وهي التي كانت ترافقه

(1)- المرجع السابق ، ص 66-67.
(2)- حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، ص 144 .

في رحلاته و أسفاره ، و هي التي كانت تحتمل معه مشقة الصحراء و قحطها فكانت بذلك رفيقة له في مواجهة الحياة وعلى ظهرها وقف على الأطلال وبكى وشكي، فهي سنده في الأحزان ولهذا فما كان على الشاعر الجاهلي إلا أن يقدم لها وصفا دقيقا في أشعاره.

ومن أبرز الشعراء الذين قدموا الصورة الحقيقية للفرس نجد على رأسهم "امرؤ القيس" الذي قال عنه:

مِكَرٍ مِفَرٍ مُقبِلٍ مُدبِرٍ مَعًا كَجُلمُودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَيلُ مِن عَلِ

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبدُ عَن حَالِ مَتنِهِ كَمَا زَالَتِ الصَفوَاءُ بِالمُتَنَزَّلِ

عَلَى الذَّيلِ جَيَاشٍ كَأَنَّ إِهتِزَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيُهُ غَلَى مِرجَلِ[1].

مِسَحٍّ ذَا مَا السَابِحَاتُ عَلَى الوَنَى أَثَرنَ الغُبَارَ بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ

يَزِلُّ الغُلَامُ الخِفَّ عَن صَهَوَاتِهِ وَ يَلوِي بِأَثوَابِ العَنِيقِ المُفَتَّلِ

دَرِيرَ كَخُذرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيهِ بِخَيطٍ مَوصِلِ

لَهُ أَيطَلَا ظَبيٍ وَ سَاقَا نَعَامَةٍ وَ إِرخَاءُ سَرحَانٍ وَ تَقرِيبُ تَتفُلِ [2].

أما عنترة بن شداد فإنه يقول واصفا للخيل:

وَغَدَاةَ صَبَّحنَ الجَفَارَ عَوَابِسًا يَعدِينَ أَوَابِدَ شُعَثٍ شُزَّبِ [3].

أما طرفة بن العبد فقال في الخيل ما يلي:

و لقد شهدت الخيل و هي مغيرة و لقد طعنت مجامع الربلات

ربلات جود تحت قد بارع حلو الشمائل خيرة الملطات

(1)- أمرؤ القيس، الديوان ، ص 52-53 .
(2)- المصدر نفسه ، ص 54-55.
(3)- عنترة بن شداد، الديوان : دار صادر بيروت ،دت ،دط، ص 104 .

ربالـه خيل ما تزال مغيـرة يعطرن من علق على الثناه [1].

وتدور صور الخيل في الشعر الجاهلي حول قطبين أساسيين هما: خيل الغارات وخيل الصيد.

ويسبغ الشعراء على جياد الغارة القوة كطول القامة ،وصلابة البيان والإرهاب، ويهتم الشعراء بصورة الحركة في خيل الغارة فهي وثابة وسبوح وجموح، وإذا كنا نرى في خيل الغارة جماعاتها الصغيرة، فإننا نرى في خيل القنص نرى جوادا واحدا يتحسسه صاحبه بحنان ويرمقه باختيال مسرا في نفسه.

وللخيل صورتان وهما: العقاب والقطاة.

أ- العقاب:

ترى صورته في الشعر الجاهلي ،وهو محلق في السماء، مصوب بصره إلى الأرض باحثا عن فريسة ،و قد نرى في الصورة أنثى العقاب فتخاء الجناحين أو"لقوة"تدخل في عراك مع الأرنب أو الثعلب.

يَضفُو وَ مِخلَبُهَا فِي دَفِّهِ لاَ بُدَ حَيزُومُهُ مَثقُوبُ .

وفي وكر "اللقوة" فراخ تحن قلوبها على اللحم، وفي وكر العقاب كما صوره شعراء الجاهلية وزيم اللحم وقلوب الطير: الرطب واليابس[2].

إن امرؤ القيس في هاته الأبيات الشعرية يقدم لنا وصفا دقيقا لفرسه نابعا من حلمه فهو"ضخم عظيم الجسم، قصير الشعر، سريع العدو يكر ويفر ويقبل ويدبر كأنه صخرة قذفها السيل من شاهق، كميت اللون، يضرب إلى الصفرة التي يخالطها الاحمرار أملس الظهر صقيل المتن بحيث ينزل اللبد لنعومته وقوته ،وهو بعد ذلك كثير النشاط، سريع الحركة، له هباب وحمي عند نشاطه كالقدر حين يغلي، ينصب في عدوه انصبابا لا تكاد

(1)- طرفة بن العبد، الديوان: ص 14 .
(2)- نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ص 95-96 .

حوافره تمس الأرض، فلا يثير غبارا كما تثير الجياد التي تضرب الأرض ضربا، لا يكاد الفارس المتمرس أن يثبت على صهوته، ويقذف بالرجل الثقيل الشديد التي قلت خبرته بركوب الخيل، وهو في سرعته كأنه دوامة ،مما يلعب بها الصبيان حين يلفها بخيط على أصبعه ثم يديرها سريعا أما جسمه: فله خاصرتا ضبي، وساقا نعامة، وسرعة، وقفر ثعلب صغير"[1]،إذن إن امرؤ القيس قد بني صورة حصان أسطوري ولكن الأوصاف التي قدمها لم تكن قائمة على مقارنات منطقية، وإنما هي من نبع حلمه.

أما زهير بن أبي سلمى فقد شبه فرسه بأنها صخمة التي أقبلت عليه فهي عظيمة الوركين طويلة العنق، وهي التي تسرع في عدوها راجمة الأرض بحوافرها، فهي تطمئن الأرض في مواقعها فقال:

"لَقَد لَحِقتُ بِأولى الخَيلِ تَحمِلُنِي لِمَا تَذَائَبَ لِلمَشهُورَةِ الـمَـــزَعُ

كَبـدَاءُ مُقبِلَـةٌ ، وَركَاءَ مُدبِرَةٌ قَوحَاءَ فِيهَا إِذَا استَعرَضتَهَا خَضَعُ

تَرَدِي عَلَى مُطمَئِنَاتٍ مَوَاطِئُهَا تَكَادُ مِن وَقعِهِنَ الأَرضَ تَنصَـدِعُ [2].

أما عمر بن أبي ربيعة قال عن الفرس ما يلي:

تشكي الكميت الجري لما جسدته و بين لو يستطيع أن يتكلما [3].

ب- القطاة :

عندما شبه الشعراء أفراسهم بالعقبان يجعلونها تفتك بفرائسها و لكنهم يقتلونها،أو يخيبونها إذا ما صيروا أفراسهم قطا، وهي صورة أثيرة لشاعر الجاهلي، كانت القطاة في الصور نجد في طيرانها نحو الماء، فلاقاها عقاب أمغر الساقين مسفع الوجه، وانقض عليها، وكاد يمسك بذنابها وطفق يصكها بجناحي، فأنشأت تضربه، وتتقلب فأفلتت منه

(1)- سعد بوفلاقة : دراسات في الأدب الجاهلي " النشأة و التطور و الفنون و الخصائص" ، ص 117.
(2)- زهير بن أبي سلمى، الديوان ، ص 25,
(3)- عمر بن أبي ربيعة، الديوان ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت – لبنان 1998، ، ط1، 341.

واختفت بين الأعشاب وزل العقاب علي مرقيه فشبح رأسه، وعادت القطاة إلى أفراخها تمج في أشداقها الماء[1].

وقد شبه زهير بن أبي سلمى فرسه بالقطاة وسريعة حتى تثير الغبار الثائر فقال:

حَمَّ عَلَيهَا بِكَلِّ لَيَّسٍ مُؤَتَلِيًا بَل هَؤُلَاءِ مِثَالِهَا مِن مِثلِهِ يَدعُ

كَذَلِكَ تَيكَ وَ قَد جَدَّ النَجَاءُ بِهَا وَ الخَيلُ تَحتَ مُجَالٍ الرَوعُ تَمتَزِعُ [2].

ويقول النابغة الذبياني:

حذاء مدبرة سكاء مقبلة للماء في النحر منها نوطة عجب

تدعو القطا و بها تدعي إذا نسبت يا حسنها حين تدعوها فتنسب[3].

4- وصف الصحراء :

بما أن الإنسان ابن البيئة التي يعيش فيها يتأثر ويؤثر فيها ،والإنسان العربي ساكن الصحراء برغم صعوبة الحياة فيها، ووعورتها وقسوتها وحرارة شمسها الساطعة، وشحة مائها نجد الشاعر لم يخبئ كل هذه المعايير بل نجدها ماثلة بكثرة في شعره وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أنه أراد إبرازها ليكون منها مسرحا يفخر من خلاله بأنه أجتاز فيافيها لذلك فالشاعر يظهر وعورة مسالكها، وخلوها ووحشتها حتى يتمكن في الأخير من أن يبين تفوقه ومغامراته التي خاضها في هذه الصحراء الموحشة" فالصحراء بالنسبة للجاهلي بيئته الطبيعية يتجول فيما ،وقد غدا ارتيادها عند الشعراء العربية وجها من وجوه البطولة والفروسية وتكرس وصفها أكثر في سنة الشعر ألمدحي(...)وقد أسرف في ذلك الأعشى والنابغة ،وهما الشاعران اللذان احترفا المدح في الجاهلية.

يقول المرقش:

(1)- نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ص 97 .
(2)- زهير بن أبي سلمى، الديوان: ، ص 26.
(3)- النابغة الذبياني، الديوان: ص 104 .

وَدَوِيَّةٌ غَبرَاءَ قَد طَالَ عَمدُهَـــا تَهَالَكَ فِيهَا الوِردُ وَ المَرءُ نَاعِـسُ

قَطَعتُ عَلَى مَعرُوفِهَا مُنكَـرَاتِهَا بِعَيهَانَةٍ تَنسَلُّ وَ اللَّيلُ حَامِـــسُ

تَرَكتُ بِهَا لَيلاً طَوِيلاً وَ مَنـــزِلاً وَ مَوقِدَ نَارٍ لَم تَرِمهِ القَوَامِـــسُ[1] .

تَسمَعُ نَزَقَاءَ مَن أَلبُومِ حَولَـنَا كَمَا خَرَبَت بَعدَ الهُدُوءِ النَوَاقِسُ

كما نجد الأعشى يصف الصحراء بأنها جرداء ملساء كظهر الفرس ليس فيها نبات ولا حيوانات، ولا يقطنها إلا الجنن وهي بذلك بلدة خالية كظهر الفرس الموحش.

يقول الأعشى:

و بلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حافاتها عجـل

لا يتمنى لها بالقيظ يركبها إلا الذين لهم فيها أتـو معـل

جاوز نها بطاليح جسرة سرح في مرفقها إذا استعظمتها فتل [2].

وقد شبه السويد وعورة طرقها، وجلاء أطرافها ببقايا الشعر على رأس الأصلع فقال:

و فلاة واضح أقرابها باليات مثل مرفت القـزع

يسرح الآل على أعلامها و على البيد إذا اليوم متع[3].

والسويد كغيره من الشعراء يصف الصحراء لتفاخر لذلك يمعن بإظهار وحشتها ومجهولية معالمها فيقول:

فَرَكِبنَاهَا عَلَى مَجهُولِهَا بِجِلَابِ الأَرضِ فِيهِنَ شَجَعُ [4].

(1)- عروة عمر : الشعر الجاهلي ، حياة العرب الأدبية ، ص 194 .
(2)- المرجع نفسه ، ص 195 .
(3)- المفضل الضبي : المفضل بن محمد بن يعلي : المضلات ، تحقيق و شرح أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر، 1942 ، ط1 ، ص 193 ، رقم المفضلة ، 40.
(4)- امرؤ القيس : الديوان ، ص 50-51.

أما امرؤ القيس فقد شبه خلو الصحراء من الناس ببطن الحمار الوحشي إذا خلا من العلف:

وَوَادٍ كَجَوفِ العَيرِ قَفَرٍ قَطَعتُهُ بِهِ الذِئبُ يَعوِي كَالخَلِيعِ المَعَيَّلِ

فَقُلتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأنَنَا قَلِيلُ الغِنَى إِن كُنتَ لَمَّا تَمَوَّلِ [1].

وهذا الأبيات ليست كل ما قيل في وصف الصحراء ،وإنما هناك شعراء كثر تحدثوا عنها ووصفوها بأوصاف عديدة.

5- وصف رحلة الظعائن :

هذا لون من أغاني الشعراء زاخر بالحب، و الحزن و الحنين ترثه الأجيال جيلا عن جيل فلقد كانت رحلة الظعائن تقليدا شعريا وأمدهم بثروة عريضة من معاني الفرقة والبعد ورحلة الظعائن في الشعر الجاهلي نجدها منتشرة كانتشار الظعائن نفسها في صحراء شبه الجزيرة العربية[2].

وفي كثير من الأحيان يرقب الشاعر هذه الظعائن طرفا من الوقت ثم يودعها في بعض الطريق و يلتفت إلى نفسه ،وقد ألم بها الحزن والجزع و أسبلت عيناه مع جهالة أو حلما وفي أحيان أخرى يندفع الشاعر خلف هذه الظعائن البائنة على ناقته الصلبة فإذا لحق بها وقف على مقربة من نشاء ينازعهن الحديث ويقول فيهن ما يقول العشاق في محبو بتهم كلاما طيبا جميلا[3].

وبعد الحديث عن الرحلة التي هي الأساس التي ينتقل ويرتحل عليه العربي في وسط الصحراء ننتقل إلى ما له علاقة بهذه الراحلة ألا، وهي الظعائن التي ترتبط دائما برحيل المحبوبة ،ومغادرتها الديار التي كانت تربطها بالشاعر لمدة طويلة وكافية ليتبادلان الحب

(1)- تمول : الرجل إذا صار ذا مال .
(2)- وهب الرومية : الرحلة في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1982،ط3 ، ص 20-21 .
(3)- المرجع نفسه .

والعشق بينهما وهذا الفراق جعل الشاعر يذرف دمعته عندما يراها وهي على الهودج وأهلها يتأهب لرحيل معها يقول زهير بن أبي سلمى[1]:

عَلَونَ بِأَنمَاطٍ عِتَاقٍ وَ كُلَّةٍ وَرَادِ حَوَاشِيهَا مُشَاكَهَةَ الدَمِ

فالشاعر يتابع بأعين شاخصة تجهيزات رحيل محبوبته، وهو متحصرا على فراقها محاولا إضمار وجده ،و كتمان شوقه لها كبشير بن أبي حازم ألأسدي الذي سأل صاحبه عن وجهة الضغائن، وهو عليم بها فقال:

أُسَائِلُ صَاحِبِي وَقَد رَأَ نِـي بَصِيرٌ بِالظَعَائِنِ حَيثُ سَارُوا

أُحَاذِرُ أَن تَبِينَ بَنُ عَقِـيلٍ بِجَارَتِنَا فَقَد حَقَ الحُـذَارُ

فَلَأيًا مَا قَصَرتُ الطَرفَ عَنهُم تَعَانِيهِ وَقَد تَلَعَ النَهَـارُ [2].

فالشاعر يسأل عمن في الهوادج ،وهو أعلم الناس بمن فيها، وهو أعلم كذلك بوجهتها التي سترتحل إليها، و يقول عبيد بن الأبرص:

تَأَمَل خَلِيلِي هَل تَرَى مِنَ ظَعَائِنٍ سَلَكنَ نَمِيرًا دُونَهُنَ غُمُوضُ

وَقَـفنَ الـجَـمَـالُ الـنَا عِـجَـاتُ مَخَامِيصَ أَبكَارَ أَوَانِسَ بِيضٍ [3].

وهذه الهوادج التي ضمت الكواعب الأوانس لا شك أن من بينها محبوبته فيقول:

فِيهِنَ هِندٌ وَ قَد هَامَ الفُؤَادُ بِهَا بَيضَاءَ أَنِسَةٌ بِالحُسنِ مَوسُومَة [4].

وكان الشاعر عبيد بن الأبرص يتتبع الظعائن ليعرف الطريق الذي ستسلكه فقال.

(1)- زهير بن أبي سلمى : شعر زهير بن أبي سلمى ، الأعلم الشنتمري ، تحقيق فخر الدين قياوة ، المكتبة العربية ، حلب ، ص 9 .
(2)- المفضل الضبي: المفضلات ، ص 388 ، المفضلة 98.
(3)- عبيد بن الأبرص : الديوان ، ص 188.
(4)- المصدر نفسه ، ص 188.

جَعَلَنَ الفَخَّ مِن رَكْكَ شَمَالًا وَتَكْبَبَ الطَوَي عَن اليَمِينِ [1].

وكقول المرقش الأكبر:

عَلَونَ رَبَاوَةَ وَ هَبَطنَ غَيناً فَلَم يَرجِعنَ غَائِلَةَ لِحِينِ[2].

وقد يكون الشاعر جاهلا برحيل محبوبته فيفاجأ بعزمها على الرحيل مع عشيرتها قبيل الصبح كقول علقمة بن عبده:

لَم أَدرِ بِالبَينِ حَتى أَزمَعُوا ظَعَنًا كُلَ الجِمَالِ قُبَيلَ الصُبحِ مَزمُومَ .

وقد كان هذا الرحيل بمثابة زلزال هز كيان الشاعر ففاضت دموعه واستسلم للبكاء يقول:

فَالعَينُ مِنِي إِذَا غَرْبَ تَمُطُ بِهِ دَمعَاءُ هَارِكَهَا بِالغَيبِ مَحزُومُ[3].

ومن الأشياء التي تكون جاذبة للشاعر أكثر من المرأة دائما تكون في أبهى حلتها عندما تكون على ظعنها ، كما أنها تجمل الهوادج أيضا كقول امرؤ القيس:

كَسَونَ هَوَادِجَهُنَ لِلسَدُولِ مُنهَدِلاً فَوَقَهُنَ إِنهِدَالُ

(1)- المصدر السابق : ، ص 48.
(2)- المفضل الضبي : المفضليات ، ص 277 رقم المفضلة 48.
(3)- المصدر نفسه ، ص 277 ، المفضلة رقم ، 48.

الـــفـــصـــل

الـــتطبيـــقي

IV- الفصل التطبيقي

1- نبذة عن حياة الشاعر زهير بن أبي سلمى

2- معلقة زهير بن أبي سلمى

3- الأطلال و موضوعاته في الشعر الجاهلي

أ- الطلل

ب- جذور المقدمة الطللية

4- معلقة زهير بن أبي سلمى و علاقتها بالارتحال

(المقدمة الطللية، ووصف الرحلة)

قائمة

الملاحق

قائمة

المصادر

والمراجع

1- زهير بن أبي سلمى :

أ- نسبه :

هو زهير بن ربيعة بن قرط و الناس ينسبونه إلى مزينة، و إنما نسبه في غطفان و ليس لهم بيت شعر ينتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب بن زهير، و هو يقول :

هُوَ الأَصْلُ مِنِّي حَيْثُ كُنْتُ وَإِنَّنِي مِنَ المُزْنِيِّينَ المُصْطَفِّينَ بِالكَرَمِ

و يقال أنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير و في الاسلام ما اتصل في ولد جرير ،و كان زهير راوية أوس بن حجر [1].

و قيل هو زهير بن ابي سلمى ربيعة بن رياح المزني فأبوه من قبيلة مزينة، و كانت تجاور في الجاهلية بني عبد الله بن غطفان حيث كانوا ينزلون في الحاجر بنجد شرق المدينة و ينزل معهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان أخوال أبيه ربيعة، و حدث أن غادر مع قوم منهم على طيء، و أصبوا نعما كثيرة و أموالا، و لما رجعوا لم يفردوا له سهما في غنائمهم فغاضبهم، و انطلق بأمه إلى قبيلة مزنية ثم لم يلبث أن أقبل في جماعة منها مغيرا على عشيرة أخواله، و لم يكادوا يتوسطون ديارهم حتى تطايروا راجعين، و تركوه وحده في منازل بني عبد الله بن غطفان، و كان ذلك سببا في أن يضطرب الرواة، و أن يظن بعضهم أن زهير غطفاني القبيلة، و هو في الحقيقة مزني النسب غطفاني النشأة ،و يظهر أن ربيعة لم يعش طويلا في عشيرة أخواله،و يقول الرواة إن امرأته تزوجت من بعده أوس بن حجر الشاعر التميمي المشهور، و هنا يلمع في حياة زهير اسم خاله بشامة بن غدير قد كلفه هو و أخواته ،و نعرف منهم سلمى كما نعرف أخرى تسمى الخنساء [2].

ب- حياته:

ليست بين أيدنا شيء واضح عن نشأة زهير سوى أنه عاش في منازل بني عبد الله بن غطفان و أخواله من بني مرة الذبياني ،و في كنف خاله بشامة بن الغدير، و كان شاعرا مجيدا كما كان سيدا شريفا ثريا يقول ابن سلام "و كان كثير المال ،و كان ممن فقأ عين بعير في الجاهلية،و كان الرجل إذا ملك ألف بعير فقأ عين فحلها " ،و كان بشامة من أحزم الناس رأيا فكان قومه يستشيرونه، و يصدون عن رأيه ،و لم يكن له ولد فلما حضرته

(1)- ابن قتيبة الدينوري : الشعر و الشعراء، د.ت ، ،د.ط، ، ص 37.
(2)- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، 2003 م، ط24 ، ص 300.

الوفاة جعل يقسم ماله في أهل بيته، و أعطى زهير نصيبا منه، و يروى أنه قال له إني اعطيتك ما هو أفضل من المال فقال زهير : ما هو ؟ فقال له : شعري، و هو لم يرث عنه شعره، و ماله فقط بل ورث عنه خلقه الكريم ،و في أخباره أنه تزوج من امرأتين : أم أوفي وهي التي يذكرها كثيرا في شعره و يظهر أن المعيشة لم تستقم بينهم فطلقها بعد أن ولدت منه أولادا ماتوا جميعا، و الثانية التي تزوجها بعدها هي كبشة بنت عمار الغطفانية، و هي أم أولاده : كعب و بجير و سالم و مات سالم في حياته ،و رثاه ببعض شعره، و هو يتحدث في شعره طويلا عن الحروب الداحس و الغبراء مشيدا بهرم بن سنان و الحارث بن عوف سيدي بني مرة الذين حقنا دماء عبس و ذبيان بعد ان طال عليهما الأمد في تلك الحروب إذ تحملا ديات القتلى، و يقال إنما كانت ثلاث آلاف بعير اداها في ثلاث سنين، و اعتد زهير بهذه المائة الجليلة فأشاد بها في معلقته ،و ظل طول حياته يمدح هرم بن سنان ويمجده و هرم يغدق عليه ،و بذلك أعطى كل منهما صاحبه بخير ما يملك، و قد ذهب ما أعطاه هرم لزهير مع الزمن أما ما أعطاه زهير فخلد مع الأيام وفي [1].

و تدل الدلائل على انه عاش في سعة من المال ورثه عن خاله، و ما كان يقدم له هرم ،و غيره من اشراف قبيلته من اموال، و كان فيه توقر و نبل، و لعل ذلك ما جعل شعره يخلوا من الفحش و العهر، فهو من دوق أخر غير دوق امرئ القيس المفتون بالنساء و تصوير مغامراته القصصية معهن ،و من دون شك أنه كان[2]،وثنيا مثله مثل قومه، و إن كنا نلاحظ عنده بعض الأبيات يؤمن فيها باليوم الآخر و ما فيه من حساب و عقاب وثواب يقوم في معلقته :

فَلَا تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُم لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللَّهُ يَعْلَمِ

يُؤَخِّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

و إذا صحت نسبة البيتين إليه كان ذلك دليلا على أنه أحد من تحنفوا في الجاهلية وشكوا في دينهم الوثني و أغلب الظن أنه لم يفارق دين قومه إنما هي خطوات كانت تمر به.

(1)- المرجع السابق ، ص 300.
(2)- المرجع نفسه ، ص 203.

و في حياة زهير من الوجهة الأدبية طريفة فقد كان أبوه شاعران، و كذلك كان خاله كما قدمنا، و أختاه سلمى و الخنساء وورث عنه الشعر ابنتاه كعب و بجير، و استمر الشعر في بيته أجيالا فقد كان عقبة بن كعب شاعرا، و كان العوام بن عقبة شاعرا أيضا ،و يقولون أنه رحل من البادية و اقام في البصرة[1].

جـ- شعره:

لعل الشعر الجاهلي لم يعرف شاعرا عنى بتنقيحه عناية زهير، و قد ذهب القدماء يقولون إنه يروي شعر زوج أمه "أوس بن حجر" الشاعر التميمي المشهور كما كان يروي شعر "الطفيل الغنوي" المعروف ببراعته في وصف الخيل و الصيد ،و أيضا كان يروي شعر خاله "بشامة بن الغدير" إلا أن زهير يتميز عن هؤلاء بما أوتي من روية و تهذيب لما يقول لا سيما مطولاته حتى قيل إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر و يهذبها في أربعة أشهر و يعرضها على خواصه في أربعة أشهر فلا يظهر بها إلا بعد حول، و لذلك يسمون بعض مطولاته بالحوليات، و لذلك جاءنا ناضجا بالتعقل و الحكمة و الصراحة و جميل الترابط في مدلوله ،و الاجمال مع السلاسة، و الوضوح في مبناه.

هذا إلا دقة في الوصف و عناية فائقة بكل جوانب المشهد إلى البداية في الرسم و التفصيل [2].

و من مزايا شعره :

حسن الايجاز و حذف فضول الكلام كقوله :

فَمَا يَكُن خَيرًا أَتَوهُ إِنَمَا تَوَارَثَهُ أَبَاءُ أَبَائَهُم قَبلُ

أجاد المدح و تجنب الكذب كقوله

عَلَى مُكثَرِهِم رِزقٌ من يَعتَرِيهِم وَ عِندَ المُقِلِينَ السَمَاحَة وَالبَذَلُ

(1)- المرجع السابق ، ص 308.

(2)- عروة عمر : الشعر الجاهلي و حياة العرب الأدبية ، ص 152.

تجنب التعقيد اللفظي و المعنوي كقوله:

وَلَو أَنَ جُمدًا يُخَلِدُ النَاسَ أَخلَدُوا وَلَكِنَ جُمدَ النَاسِ لَيسَ بِمُخَلَدِ

الاكثار من الحكم و الأمثال :

و أعلم ما في اليوم و الأمس قبله و لكنني عن علم ما في غدهم[1].

نحن إذن بإزاء شخصية ممتازة من شخصيات الشعر الجاهلي فيها بر ،و رحمة و فيها نزعة قوية إلى الخير، و ليس معنى ذلك أنه تخلص في مدحه لهرم بن سنان، و ابن عمه الحارث بن عوف من صورة الجاهلية التي تشيد بالشجاعة و الكرم المتهور، و كان يقدم لقصائده بالغزل و التشبيب متبعا سنة الجاهليين في الوقوف بالأطلال، و ذكر الديار وتحس عنده احساسا واضحا بأنه لم يكن ممن شغف الحب قلوبهم فهو كي يرضي سامعيه لا لكي يرضي نفسه بعبارة أخرى هو يتغزل أخذ بتقليد متبع،و لذلك نراه يختم غزله أحيانا بقوله "قعد عما ترى" أو "دع ذا" كأنه يريد أن يكف قلبه عن مثل هذا الحب الذي لا يتلاءم مع وقار و قد يعلن في أول قصيدته إعلانا أن قلبه انصرف عن صاحبته على شاكلة قوله:

صحا القلب عن سلمى و قد كاد لا يسلو و أقصر من سلمى التعانق فالثقل

و لعل من الطريف أن أستاذه أوس بن حجر كان شريكه في هذا الجانب فهما جميعا لا يتغزلان للغزل، و إنما يتغزلان جريا علي تقاليد، و قد يلم زهير بأثر الحب في النفس فيبدع في تصوره ،و هو في هذا التصوير لا يمثل عاطفة، و لا مشاعر حقيقية،و إنما يمثل قدرته الفنية كقوله في وصف دموعه[2].

كأن عيني و قد سال السليل بهم و جيرة ما هم لو أنهم أمم

غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق في السلك خان به رباته النظم

(1)- المرجع السابق ، ص 153.
(2)- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، ص ، 315.

فهم قد ساروا بعيدا فأبعدوا، و لو كانوا جيرة لقصدهم بالزيارة، و إن دموعه لتتساقط من عينه تساقط الماء من الغرب أو الدلو أو تساقط اللؤلؤ من عقد انقطاع سلكه، و بهاتين الصورتين البديعتين صور زهير الدموع، و هي ليست دموع حب، و إنما كل ما في الأمر أنه شاعر يعرف كيف يصور دموع الحب .

و لزهير هجاء في بعض القبائل التي كانت تغير على عشيرته، و خاصة في الحارث بن ورقاء أحد بني أسد الذي أغار على قبيلته و نهب غلامه يسارا، و بعض أمواله و هو فيما صح من هذا الهجاء لا يوغل في الإقذاع ،و هتك الأعراض إيغال أستاذه اوس بن حجر و الجاهلين من حوله بل بقي على مهجوه ،و على نفسه عامدا إلى السخرية كقوله في عشيرة حصن بني عليم الكلبي.

وَمَا أَدرِي وَ سَوفَ إِخَالُ أَدرِي أَقَومٌ آلُ حِصنٍ أَم نِسَاءُ

فَإِنَ تَكُن النِسَاءُ مخبآتٍ فَحُق لِكُلِ مُحَصَنَةٍ هِدَاءُ

فهن نساء خبثن في الخدور، و ينبغي أن يتزوجن ،و هي سخرية مرة تحمل كل ما يريد من وصفهم بالجبن[1].

2- معلقة زهير بن أبي سلمى :

أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلأْياً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

أَثَافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلِ وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلاَ أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ

جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ وَكُمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

(1)- المرجع السابق ، ص ، 317.

عَـلَـوْنَ بِأَنْـمَـاطٍ عِـتَـاقٍ وَكِلَّـــةٍ وَرَادٍ حَـوَاشِـيْهَا مُـشَاكِهَـةُ الدَّمِ[1].

وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْـلُـوْنَ مَتْنَـهُ عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّـاعِـمِ الـمُتَنَعِّـــمِ

بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَـحَـرْنَ بِـسُـحْـرَةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الـرَّسِّ كَـالْـيَدِ لِلْفَـمِ

وَفِيْهِنَّ مَلْهَىً لِلَـطِـيْفِ وَمَـنْظَرٌ أَنِيْقٌ لِـعَـــيْنِ النَّاظِرِ الـمُتَـوَسِّـمِ

كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُـلِّ مَنْـزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّـــــمِ

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقـاً جِـمَـامُـــهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ الـمُتَخَيِّـــمِ

ظَهَرْنَ مِنْ السُّوْبَانِ ثُـمَّ جَـزَعْـنَـهُ عَلَى كُـلِّ قَـيْـنِـيٍّ قَـشِـيْبٍ وَمُفْـعَـمِ

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَـهُ رِجَـالٌ بَـنَـوْهُ مِـنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُـــمِ

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِـدْتُـمَـــا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْـــرَمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَـانَ بَعْـدَمَـا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْـشَـمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِـعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْـلَـمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِـــنٍ بَعِيدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَـــمِ

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَـعَدٍّ هُـدِيْتُمَـا وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُـمِ

تُعَفِّي الكُلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصْـبَحَـتْ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيْهَا بِمُجْـــــمِ

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِـقَـوْمٍ غَـرَامَـــــةً وَلَمْ يَهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مِحْجَـــمِ

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيْهِمُ مِنْ تِلَادِكُـــمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّـــــمِ

أَلاَ أَبْلِغِ الأَحْلاَفَ عَنِّي رِسَـالَـــةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَـمِ

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُـفُوسِـكُـمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَـــمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُـدَّخَـرْ لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَـــمِ

وَمَا الحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْـتُـمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّـــمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَـثُوهَا ذَمِيـمَـةً وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْـــرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِـفَـالِـهَـا وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِـــمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّـكُـــمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِـــمِ

---

(1)- زهير بن أبي سلمى، الديوان: ص ، 102-103-104.

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِـلُّ لأَهْـلِـــهَا قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَـــمِ[1].

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيِّ جَـرَّ عَـلَـــيْهِمُ بِمَا لاَ يُؤَاتِيْهِم حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَـــمِ

وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُـــسْتَكِنَّةٍ فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَجمجـــــــمِ

وَقَالَ سَأَقْضِي حَـاجَـتِي ثُمَّ أَتَّـقِي عَـدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجَـــمِ

فَشَدَّ فَلَمْ يُفْزِعْ بُيُـــوتاً كَـثِـيـــرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَـــمِ

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِلاحِ مُـقَـــذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّـــــــمِ

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِـــظُلْمِـهِ سَرِيْعاً وَإِلاَّ يُبْدِ بِالظُّلْمِ يَظْلِـــــمِ

دَعَوْا ظِمْئَهُمْ حَتَى إِذَا تَـــمَّ أَوْرَدُوا غِمَاراً تَفَرَّى بِالسِّلاحِ وَبِالـــــدَّمِ

فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُـــمَّ أَصْـــدَرُوا إِلَى كَلَأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخِّـــــمِ

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُـــهُـــمْ دَمَ ابْنِ نَهِيْكٍ أَوْ قَتِيْلِ المُثَلَّـــمِ

وَلاَ شَارَكَتْ فِي المَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَـــلٍ وَلاَ وَهَبٍ مِنْهَا وَلا ابْنِ المُنَـــزَّمِ

فَكُلاً أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْـقِـلُـونَـــهُ صَحِيْحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْـــرِمِ

لِحَيٍّ حَلاَلٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْـرَهُـــمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَـمِ

كِرَامٍ فَلاَ ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَـــهُ وَلا الجَارُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْـــلَمِ

سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِـــشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْـــأَمِ

وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَـــهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَـــمِ

رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِـــبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْـــرَمِ

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِـــيـــرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِـــمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَـــمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِـــهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَـــمِ

وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُـــهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَـــمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَـــهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّـــمِ

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِـــهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْـــدَمِ

---

(1)- المرجع السابق: ص ، 104-105-106-206-107.

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّـــــهُ يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْـــذَمِ[1].

وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِـــــهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَـــمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَـــهُ وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَم يُكَـــرَّمِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَـــةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَـمِ

وَكَاءٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِـــبٍ زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّـــمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُـــؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالـــدَّمِ

وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْـــــدَهُ وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُـــمِ

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعُدْتُـــــمُ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْآلَ يَوْماً سَيُحْـرَمِ[2].

3- الأطلال و الموضوعات في الشعر الجاهلي :

إن القصيدة الجاهلية تفتتح عادة بالوقوف على الأطلال و استيقاف الصعب ،و ذكر الأحبة و ذلك مهما كان نوع القصيدة ،و أيا كان الغرض الذي نظمت فيه و يعود هذا الافتتاح الكئيب و المحزن إلى طبيعة البيئة الجاهلية القاسية التي تجبر الإنسان إلا أن يجوب في آفاقها الصحراوية الوعرة فالعرب قوم ترحالهم دائم حيث ينتقلون من مكان إلى مكان بحثا عن متطلبات الحياة من ماء و كلأ و غيرها فيضطرون إلى الرحلة، و لربما في اثناء ترحالهم مروا من جديد ببقعة كانوا قد حلوا،و استقروا فيها من قبل فيقفون هناك برهة من الزمن يسترجعون ذكرياتهم، و يعتبرون فيها و يتأسفون على ما مضي من حياتهم و سالف رفاقهم و أحبتهم،و هكذا نشأت القصيدة الجاهلية تبتدئ بإستقاف الصحب على الأطلال، و الدور المهجورة، و ذكر الأحبة .

أ- الطلل:

لا يذكر الشاعر الجاهلي يوم يقف على الأطلال من أين أتى، و لا كيف وصل لكنه يفاجأ المرء بهذه الوقفة على الطلل ،و هو لا يتحدث عن هذه الوقفة بضمير الغائب كعادة

(1)- المرجع السابق: ص ، 108-109-110.
(2)- زهير بن أبي سلمى، الديوان: ص ، 111.

أصحاب الملاحم بل يتحدث عنها بضمير المتكلم فهو وحده الذي سقط في هذا المكان و هو وحده الذي يبكي على الطلل.

هي الوحدة التي تعتصر قلب الشاعر يوم يحس بأنه سقط في هذا العالم ،و يتلفت الشاعر حوله في وحدته الموحشة فيرى عالم الأشياء، و يرى الحيوان كقول زهير بن أبي سلمى :

فَذَرْوَةٌ فَالِجَنَابَةُ كَأَنَّ خَنَسَ الـنِّ عَامِلِ الطَّاوِيَاتِ بِهَا المَلأُ

كَأَنَّ أَوَابِدَ الثِّيرَانِ فِيهَـــا هَبَائِنَ فِي مَغَابِنُهَا الطَّلَاءُ [1].

و في الأطلال نؤى متهدم و ثلاث أثافي كقول زهير بن أبي سلمى

أَثَافِيِ سُعْفًا فِي المِعَرَسِ مِرجَلِ وَنُؤْيًا كَجَوضِ الحِدِّ لَم يَتَثَلَّمِ

و النؤي إشارة إلى البيت أو إلى المساكن فما من إنسان لا يسكن، و الأثافي في إشارة إلى الإطعام فما من إنسان، و هو إذ يأكل يحتاج إلى شيء يأكله، و هذا الشيء يحتاج إلى مرجل يحتاج إلى نار و ثلاثة أحجار، سواء اكان غنيا أم فقيرا حضريا أم بدويا وقد قصد الشعراء الجاهليون أن يشيروا إلى المسكن الإنساني و النؤي لا لأنهم بداة يسكنون الخيام بل لأنه النؤي أعرق في الوجود الانساني من القصور ذات الشرفات لأن النؤى تشير إلى الإنسان، و الطبيعة أما القصور فتشير إلى إنسان موسر، و لأن النؤى ينظم علاقة بين الانسان، و الطبيعة فقد وضع لحماية الانسان من المطر .

رَدَّت عَلَيهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الوَلِيدَةِ بِالمَسَحَاةِ الثَّأَدِ

خَلَّت سَبِيلَ أَتِيٍّ كَانَ يَحبِسُهُ وَرَفَعَتهُ إِلَى السَّجفَينِ فَالنَّضَدُ [2].

إذا كان الشاعر الجاهلي قد رمز إلى عالم الحيوان بالظباء و النعام ،و رمز إلى عالم النبات بالعشب ،و رمز إلى الطبيعة بالمطر قد أشار إلى الإنسان بالطعام ،و المسكن فالإنسان من أجل تأمين طعامه يكد و يشقى، و يسعى في أنحاء الأرض فيقطع الصحاري

(1)- نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية للشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ص 77-177.
(2)- المرجع نفسه ، ص 179-181.

و يجوب القفار بحثا عن لقمة يسد بها رمقه ،و بعد كل هذا الجهد يجد الانسان له مأوى يستريح فيه و ينام و يحلم، و بعد أن يستيقظ يبحث من جديد عن الطعام .

و عندما يستحضر الشاعر الأطلال فهو يصدر الحديث من معادلة صعبة طالما تسائل عنها هي الحياة و الموت، فظهر القلق من الموت و الفناء فقد رحل الانسان الذي نصب الأثافي و طهي الطعام ،و رحل ساكنو البيت، و من القلق يتولد البكاء، و لذا بدأ البكاء على الطلل بكاء إنسان قلق يحس بعمق أن الفناء يتربص بالإنسان يقول زهير بن سلمى :

فاستأثر الدهر الغداة بهم و الدهر يرميني و لا أرمـــي

لو كان لي قرنا أناضله ما طاش عند حفيظة سهمـي

يا دهر قد اكثرت فجعتنا بسراتنا و قرعت في العظـم

و سلبتنا ما لست معقبـه يا دهر ما أنصفت في الحكـم [1].

ب-جذور المقدمة الطللية :

لقد أسهم شعراء العصر الجاهلي في تكوين ذوق أدبي عام استقر في أذهانه، و أجبر الشاعر بعد ذلك على مراعاته و اتباعه في ما ينظمه أيا كان الغرض الذي يسعى إلا تحقيقه من قصيدته، لذلك فإن مما لا شك فيه أن الشاعر يمر بعدة مراحل قبل أن يصل إلى لب الموضوع ففي بداية القصيدة يظهر الشاعر مرتجلا على جمله أو ناقته مع رفيق أو رفيقين فيمر على ديار الحبيبة ،و قد رحلت مع قومها إلى موطن بعيد تاركة وراءها آثار الديار من أحجار و أثافي و خيام و غيرها فتأثر مناظر تلك الأطلال على نفسه التي عدت رمزا لليأس، و أنموذجا للخراب و الموت و الفناء فيشعر بالشجن و الحزن لذلك فيستوقف الشاعر رفيقه في السفر أن يقفا لحظة لتأمل،و استرجاع الذكريات فيتذكر حياته التي قضاها مع محبو بته، و بعد ذلك يتذكر ارتحاله ،و بعد كل هذا يستجمع قواه و يتابع رحلته ،و في

(1)- المرجع السابق ، ص 179-181.

أثناء رحلته يصف الشاعر كل ما يصادفه، و تقع عليه عيناه من حيوانات، و مناظر طبيعية واصفا إياها ببراعة و دقة،و بعدها يصل إلى الغرض الرئيسي من القصيدة .

و هذا هو المنهج الذي سلكه معظم الشعراء الجاهليين في قصائدهم ثم ينصرف كل منهم إلى هواه.

و يبدوا أن أول من بكى و استبكى، ووقف على الأطلال هو امرؤ القيس الذي سبق العرب إلى أشياء ابتدعها و استحسنها العرب، و اتبعه فيها الشعراء منها استيقاف صحبه والبكاء على الديار، و رقة النسيب، و قرب المأخذ، و تشبيه النساء بالظباء،و من ذلك مطلع معلقته :

قفا نبكي من ذكرى حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

و قال في مناسبة أخرى يذكر الأطلال **ألا أنعم صباحا أيها الطلل البالي** [1].

و بالرغم من كل هذا فإننا نجد بيتا من الشعر ينسب إلى امرؤ القيس ينكر فيه أن يكون أول من بدأ هذه المطالع الطللية،و أن الشعر قد وجد قبله منذ زمن طويل يقول :

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ لِأَنَنَا نَبكِي الدِيَارَ كَمَا بَكَى ابنُ خُذَام

و ابن خدام لا يعرف من أمره شيء سوى هذه الاشارة التي تدل على أنه يبكي الديار ووقف على الأطلال، و قد لا يكون هو أول من فعل ذلك بل كان مقلدا لمن سبقوه في ذلك و ربما ما أشار إليه كعب بن زهير بن أبي سلمى في قوله :

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا رَجِيعًا وَ مُعَادًا مِن قَولِنَا مَكرُورًا

و ما قاله عنترة أيضا :

هَل غَادَرَ الشُعَرَاءُ مِن مُتَرَدِمِ أَم هَل عَرَفتَ الدَارَ بَعدَ تَوَهُمِ

(1)- محمد مهداوي : جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم مقارنة تحليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر ، 2009 م ، د.ط ، ص 01-10.

كل ذلك يؤكد و بشكل قاطع أن الشعر العربي كان قد بلغ من تطوره ،و الرقي أوجه وأن هذه المطالع الطللية غدت في حكم التراث و التقاليد الفنية المتوارثة في الحياة الأدبية الجاهلية استحسنها الذوق العربي العام فأقرها بل جعلها ركن أساسيا في بناء القصيدة .

إضافة إلى ذلك كله نجد معظم الشعراء من أصحاب المعلقات الذين عاشوا في زمن متقارب ينهجون هذا المنهج مثل طرفة بن العبد و عمر بن كلثوم، و زهير بن أبي سلمى وغيرهم ،و قد يختلف الشعراء في هذه المقدمة فمثلا امرؤ ألقيس يتنقل من التشبيب إلى الصيد ووصف الفرس ،و طرفة يضرب في عرض الصحراء على ظهر ناقته التي يسرف في الحديث عنها قبل أن يلج إلى غرضه الأصلي فإن زهير بن أبي سلمى يبدأ بالأطلال وما يبقى منها من مخلفات الأحبة فيبدأ معلقته بقوله :

أَمِن أُمِ أَوفَى دِمنَةٌ لَم تَكَلَّمِ بِحَومَانَةِ الدُرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

وَ دَارٌ لَهَا بِالرَقمَتَينِ كَأَنَهَا مَرَاجِيعُ وَشمٍ فِي نَوَاشِرَ مِعصَمِ

بها العين و الارآم يمشين خلفه و أطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وَقَفتُ بِهَا مِن بَعدِ عِشرِينَ حِجَّةٍ فَلَأيًا عَرَفتُ الدَارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

أَثَافِيَ سُفعًا فِي مِعرَسِ مِرجَلٍ وَ نُؤيًا كَجُذمِ الحَوضِ لَم يَتَثَلَّمِ

فَلَمَا عَرَفتُ الدَارَ قُلتُ لِرَبعِهَا أَلَا أَنعِم صَبَاحًا أَيُهَا الرَبعُ وَ اسلَمِ [1].

و هذا الاختلاف في المقدمة الطللية بين شاعر و آخر يخضع لميوله، و طبيعته و معارفه الشخصية بالأشياء، و نظرته إلى الموضوع لأن الشعراء يختلفون في النظرة إلى الموضوع الواحد لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل منهم إلى الموضوع بالإضافة إلى الحالة النفسية و المزاجية التي يكون عليها الشاعر وقت عملية الإبداع لذلك تختلف الموضوعات، و الصور بين الشعراء باختلاف الاتجاه في النظر إلى الموضوع من ناحية النفع و الضرر و اللذة و الألم، و نحو ذلك و لعل الذي يدل على أن هذه المقدمة الطللية صارت جزءا من القصيدة لا يمكن الاستغناء عنها حتى تعد القصيدة مستوفية لكامل

(1)- المرجع السابق ، ص 12.

شروطها هو وجودها حتى في قصائد الرثاء مع أن الأمر غريب قليلا لأن المقدمة الطللية يتذكر فيها الشاعر أيامه السعيدة التي قضاها في الحب،و احتساء الخمر، و في سهرات السمر و الليالي الملاح بينما يتعلق موضوع الرثاء بالحزن و الأسى و الألم،و ما يتبع فقدان الأحبة و الأعزة من غبن و حزن و غيرها فشتان بين هذا الموضوع و ذلك فلا يوجد خيط يربط بينهما من حيث الظاهر، و لكنه شرط فني أقره الذوق العام .

4-معلقة زهير بن أبي سلمى و علاقتها بالارتحال (المقدمة الطللية ، ووصف الرحلة):

قبل أن نشير إلى معلقة زهير بن ابي سلمى و علاقتها بالارتحال ، فإننا نريد أولا أن نعرج على رأي "يوسف خليف" الذي حاول أن يدرس مقدمة الأطلال دراسة موضوعيةو فنية فيرى فيها أولا كثرة في الظهور لأنها وجدت هوى شديدا في نفوس الشعراء الجاهليين لارتباطها ببيئتهم المادية ،و طبيعة حياتهم الاجتماعية ، إذ هي تعبر عن تلك الظاهرة الطبيعية في المجتمع البدوي، و تطورت المقدمة مع التطور الفني الذي أصاب الشعر الجاهلي عند شعراء مدرسة الصنعة أو عبيد الشعر ، و في رأي الباحث أن أورع ما وصل إلينا من المقدمات الطللية في هذه المرحلة (مدرسة الصنعة)، و هي مقدمة "زهير" لما ضمنها من طاقة تعبيرية، و تصويرية بارعة، و زهير يرسم منظرين أساسيين :

الأطلال في صمتها و سكونها ، و منظر صاحبة الأطلال في رحلتها المندفعة في الصحراء[1].

فوصف الطلال يأتي في افتتاحيات قصائد الشعراء الجاهليين "يأتي الشاعر لزيارة محبو بته فيجد أهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم ، نازلين فيه ، فيقف على طلل الخيمة ، فيصفه و يصف ما حوله ، و ينسب بالحبيبة و يتشوق إليها "[2].

و لعل خير من يمثل هذا الغرض "زهير بن أبي سلمى"الذي يقدم لنا صورة في وصف الأطلال ووصف الرحلة في معلقته ، فهو في بداية القصيدة يقف عند معاهدا "أم أوفى" وقفة المتأمل الذي تملأ عليه الشكوك و الظنون نفسه إذ خفيت الدار عليه ،و أصمت

(1)- عفيف عبد الرحمان : الشعر الجاهلي حصاد قرن ، دار جرير للنشر و التوزيع ، عمان-الأردن ،2007م ، ط1 ، ،ص 780-781.

(2)- سعد بوفلاقة ك دراسات في الأدب الجاهلي ، النشأة و التطور و الفنون و الخصائص ، ص 120.

أذنيها عن إجابته و خلت من أهلها، و ضفحت بالظباء و البقر الوحشي ، لقد رحل أهلها عنها منذ زمن بعيد ، و ها هو يقف عندها بعد مضي عشرين عاما فلا يعرفها إلا بعد أن أطال إليها و تأمل فيها،و ماذا بقي منها يستدل عليه غير الأثافي، و أمكنة القدور.

و لعل عنصر المرأة هو عنصر الطلل الرئيسي ، لأن المرأة قد رحلت و أدى رحيلها إلى إقفار الديار ، و حتى القصائد الغير الطللية فإن المرأة فيها تكاد لا تظهر إلا راحلة ، فكان الشعراء الجاهليين قد ربطوا المرأة بالحياة و الخصب و النماء ، أو علقوا حياتهم بها ، يبقون في الديار إذا ما بقيت ، و يرحلون عنها إذا ما رحلت، و لقد افتقرت الديار، و لم يتبقى إلا الأرام ، و البقر و النعام .

بها العين و الأرام يمشين خلفه و طلاؤها ينهضن من كل مجثم [1].

إن زهير بن أبي سلمى يبدأ بالأطلال ،و ما بقى منها من مخلفات الأحبة[2]، فهو في مقدمته الطللية يجسد تجسيدا ماديا لأحوال النفس البشرية فهو ذكر المرأة في الطلل لتجسيد حنينه و شعوره بحركة الحياة، و من هنا نستحضر موقف الشاعر من الحياة الذي يماثل لواقع السعادة و التعاسة في الكون ، و الشعور بالعدم و الزوال و الانقراض .

فزهير وظف المرأة و الحب في شعره ، و هذا يحيلنا أنه وظف رمزا معادلا نفسيا لقضية وجوده ، فهو يستحضر المرأة في شعره بوصفها محبوبة و أما و زوجا ، و مصدر الخصوبة و الاستمرار في الحياة ، فهو جمع بين الطلل و المرأة هذا يعنى أنه يجمع بين نقيضين و هما : الحياة و الموت فالمرأة ترمز إلى الحياة ، أما الطلل فإنه يرمز إلى الموت، و لهذا نراه في أبياته الأولى يعبر عن الوحشة التي تنجم عن الطلل ، وحتى هذه الأطلال قد اندثرت و انمحت معالمها إلى درجة أنه لم يتعرف على بقايا الديار ، فمنضر هاته الأطلال و الديار منظر حزين كئيب ينبض بالوحشة و الخوف لذلك كان الطلل بنسبه له رمزا للزوال و الانقراض فهو مرتبط بالهم و العذاب ، إنه يشعر باليأس و خيبة الأمل في الحياة و لكن بعد ذلك يعود الشاعر إلى رشده، و يتفاءل بالحياة و بضرورة استمرارها لأنه انتقل بعد ذلك إلى رصف الظعن منذ أن بدأت القافلة رحلتها من جرثم، و يمضي معها يرصد

(1)- نصرت عبد الرحمان : الصورة الفنية للشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ص 142.
(2)- محمد مهداوي : جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم مقاربة تحليلية ، ص 12.

حركاتها، و خطى سيرها بين جبل "القنان" و "حروية" فهو يصف محبو بته، و الناقة التي حملتها و ارتحلت إلى مكان بعيد ، الذي لا يصل إليه النوق النجيبات و الخيول الأصيلة ، فهو يصف الناقة و ما اعترض طريقها من الأين و معاناة السفر،و لكن على الرغم من طول الرحلة و مشقتها تبدو آيات، و إمارات الترف على النساء الضعينات ، فقد تساقطت فئات الصوف (العهن) في كل منزل حللن به ،و لهذا جاءت الأبيات لوحة فنية عرف "زهير" كيف يصفها إذ تتبع سير القافلة تتبعا دقيقا من فوق جرثم ،و ما زال يرصدها و هي تطوي جبل "القنان" إلى "السوبان" فواد "الرس" ثم وضعن عصي الترحال، و نزلن من هوادجهن و ضربن خيامهن و يقول أن صاحبته يكرن بكورا و استحرن بسحره ، فقد عرف كيف يضيف إلى لوحة الألوان المختلفة ، فالأثافي سفع و الهوادج مكللة،و فتات العهن تساقطن منهم في كل مكان و خاصة أن "زهير" كان بدويا لذلك جاءت معلقته صورة للوحته من أجل تجلية عاطفته و إتجاهه .

و لعل حديث "زهير بن أبي سلمى " عن مقطع الضعن في قصيدته الميمية يشير إلى أن هناك عناصر عديدة أوحت عن ذكريات الماضي عند الشعراء ، و كانت فيها صور نفسية مشرقة كشفها زهير في معلقته ، وأدْا أردنا تفسير الدلالات لتوظيف مقطع الرحلة في القصيدة ، نراه لم يكن إلا استجابة واقعية للحديث عن الصراع اليومي الذي يعد المنفذ الوحيد للخروج من هوة اليأس و الأسى و الحرمان التي تنتزع فيه النفس من عالم الموت إلى عالم الحياة الصاخب ، فمقطع الرحلة بالرغم من أنه مرتبط بالمرحلة التكوينية في أولية الشعر إلا أن صوره تشير إلى انفتاح مشهد الناقة لإدراك المعاناة النفسية و الموضوعية المتجددة لأن الناقة في القصيدة الجاهلية هي الوسيلة الوحيدة للإنسان الجاهلي لمواجهة الصراع الإنساني[1].

و لهذا نفسر ما يميز مقطع الطلل و الرحلة، و صورهما العديدة يرجع إلى القدرة على عملية الاستقراء حتى نتمكن من استخراج التجارب الفنية و النفسية في القصيدة ، لذلك نقول أن علاقة النص الشعري "لزهير بن أبي سلمى " به هو شخصيا إنما هو تعبير عن

[1]- سعيد حسون العنبكي : الشعر الجاهلي ، دراسة في تأويلاته النفسية ، 2008 م ، ط1 ، ص 283.

الرغبات المكبوتة و العلل النفسية من أجل تبيان الجوانب ،و الأحداث التي تربط الإنسان بماضيه ، و حاضره و مستقبله .

إن قصيدة "زهير بن أبي سلمى" تنبثق من اتجاهين : أولهما نفسي و ثانيهما فني فالاتجاه النفسي عندما اختار الظعن ،و هذا يرجع إلى معاناة و مأساة "زهير" الشخصية والنفسية ، فرحيل "أم أ وفى" بعد طلاقها ترك جرحا عميقا ،و أثرا نفسيا في حياة الشاعر لذلك كان يعبر عن مأساة نفسية حقيقية في حياته ، و هذا ما جعل مقاطع الظعن تكثر في قصائده ،و تصل إلى درجة الإطار الفني لمشاهد الظعن ، و هذه المعلومات تحيلنا إلى سيرة الشاعر و طلاق "أم أوفى" التي تؤكد على وجود الباعث الفني في القصيدة نفسها ويكون ذلك في طبيعة التجربة المتمثلة في انتزاع إبل الشاعر، و الرحيل بهم إلى أرض الصيداء ، مما استدعى أن يكون الظعن هو افتتاح القصيدة ، لذا فإن فبمجرد التذكر أو الإحساس بحادث طلاق "أم أوفى" فقد أوحى للباحث بفكرة أو صورة حولت مدلول القصيدة كلها إلى مدلول جديد [1].

و لكن ما يكون أصعب في الأمر هو عندما اقوم بتأويل مضمون النص و تفسيره و الحكم عليه، و لفهم مضمون النص الشعري الذي هو هدف من أهداف الاتجاه النفسي فقصيدة "زهير بن أبي سلمى" هي تعبير صريح عن حالته النفسية ، و التي تشير بشكل واضح إلى بواعث نفسية ، و هذه هي الوسيلة الوحيدة التي دفعت الشاعر الجاهلي إلى الإبداع لحظة الإلهام الشعري مما احال إلينا أن مقطع الظعائن حمل المقطع الوصفي آثار انفعاله الإنساني الناشئ عن تجربته الموضوعية ،و لهذا نجد أن "زهير" لما وصف الظعائن أو مشاهد الرحلة كان ذلك من اجل أن يعكس آثاره النفسية التي في وجدانه ساعة الفراق فهي تعبر عن تجربته، و عن عقدته التي لا تري من التعطش للحب و غيره فهي تصور و تسجل الوقائع التي يعيشها و يعبر عن آلامه و أماله فالشاعر لما وقف على الأطلال أو على معاهد "أم أوفى" فإنه قد وقف على محطة الأطلال ليغسل نفسه ، فكانت هذه الطلال بمثابة الاتزان النفسي له أو بمثابة التطهير لذاته أو نفسه ، فهو يمارس نوع من التطهير

[1]- المرجع السابق، ص 289.

الذي نادى به "أرسطو" مما يساعده على مواجهة المواقف الصعبة، و يعطي لنفسه طاقة جديدة ، و عليه يمكننا أن ندرج قصيدة زهير بن أبي سلمى إلى قسمين:

أولهما المقدمة الطللية التي تمثل الجانب أو الاتجاه النفسي التي يضع فيها الشاعر أهم المعطيات البيئية، و الاجتماعية و النفسية ،و هي تمثل المرحلة الاستفتاحية، و ثانيها رحلة الشاعر، و التي تمثل الجانب أو الاتجاه الفني التي تعكس رؤيته في الحياة بشتى مجالاتها و شؤونها حتى يصل إلى الغاية أو الهدف أو المقصد الذي وضع عليها مقدمته لتكون بذلك الجسر النفسي للآخرين و الجسر النفسي لذاته ، الذي رأى الكثير من الباحثين أن رحلة الشاعر كانت تمثل الملاذ الذي يفزع إليه كلما تحطم قلبه من قفار الدار فتبعث فيه الروح من جديد ،و إعطاءه نوع من الأمل و القوة فيحقق من خلالها الكثير من مواقفه ورؤيته للحياة ، و لهذا نرى أن أغلب القصائد الجاهلية تزخر بهذين القسمين : القسم النفسي الذي يمثل المقدمة الطللية، و القسم الفني الذي يمثل رحلة الشاعر أو وصف الرحلة لهذا وكانت قصيدة "زهير" واحدة من هاته القصائد الرائعة لأن الشعراء الجاهليون كانوا يتخذون من حيوانات صحرائهم مواضع فنية و نفسية ، و يوظفون نوقهم لتحمل شتى الانفعالات الحسية و النفسية ،و لهذا كله جعل للقصيدة الجاهلية وحدة عنصرية متماسكة لأن موضوعاتها ترتبط مع بعضها البعض ارتباطا نفسيا ،و ذاتيا، و اجتماعيا، و موضوعيا .

إن معلقة "زهير بن أبي سلمى" قد مثلت معادلا وحديثا نفسيا التي بدت، و كأنها تلخيصا دقيقا لقصة حياته ، و شرحا لحياته عند رحيل "أم أوفى" و هذا يدل على رمزية القصيدة التي جعلت الشاعر يقف على معاهد "أم أوفى" و هذا ما جعلنا نفسر القصيدة تفسيرا نفسيا لأن القصيدة الجاهلية ترتبط كثيرا بالشاعر الجاهلي و بيئته، و مجتمعه.

و كما أسلفنا الذكر أن الاتجاه النفسي التي تصنف فيه قصيدة "زهير" هي التي تخص لحضاته في حياته التي حاول تسجيلها ، و التي كشفت عن تجربته الشعرية و تأثيراتها المختلفة على أوجه ضروب نشاطه النفسي إلى حيث إنتقالها إلى المتلقي ،و ما تفعله من تأثير فني ، و هي قصيدة لا تخلو من دلالات تعبيرية رمزية فهي الأقرب إلى عالم الشاعر النفسي، و لكن محاولته هذه تبقى ذات مغزى نفسي و فني في نفس الوقت لأنها تربط بين مشاهد القصيدة و التعبير الانفعالي له ، فهو يسلك مسلكين في آن واحد

للتعرف على حالة شعوره ، أو العاطفة النفسية له ، فالمسلك الأول عندما وصف الحالة الشعورية وواقعه البيئي و النفسي ، أما المسلك الثاني فيخصصه للبحث في العاطفة الوجدانية، و هذا ما يؤدي إلى تكامل العمل الشعري الجاهلي مع النمو النفسي .

إن قصيدة "زهير" لا تخلوا بتاتا من الدلالات النفسية في إطار الموروث للقصيدة الجاهلية و نعني بهذا أنها لا تخلو من رسوم الطلل و الظعن و الرحلة التي تمثل مستلزمات فنية بالضرورة في النص الشعري الجاهلي، و بناء على هذا جاءت معلقته بنية فنية و نفسية بوصفها أشكالا فنية مشحونة بالدلالات النفسية، و ليس رسوما أو أغراضا لا تمثل إلا باعثها الاجتماعي و الثقافي ، فهي مستمدة من طبيعة الحياة الاجتماعية و الحضارية للمجتمع الجاهلي ، ثم إن إلمام الشاعر بالطلل تدل على وفائه و شبابه و كرم عهده التي جاءت للكشف عن رغبته إما بطابع نفسي أو حسي و ذلك تبعا لفقدان الدار لأهلها فكان وصفا للطلل أو البدء بالمقدمة الطللية انعكاس لبيئة الجزيرة العربية فزهير بن أبي سلمى شاعر جاهلي بامتياز يكاد في شعره أن يشكل قصيدة شعرية واحدة فنحن في شعره نلحظ يحفل بالمعنى الخاص لديه ، و هي خاصية من خصائص التجربة الشعرية ، لأنه بكى و كشف عن توتره بانقضاء الحياة ، فالطلل في شعره طلل حزين ليس لأنه مندثر عن ما يقف الشاعر عليه بل قد يكون ما حشده له الشاعر من أوصاف لا وجود له في الواقع فهو عندما تحدث عن طلله فإنما هو يتحدث عن الدوافع النفسية و الانفعالية فكانت القصيدة متكاملة الثراء لأنه حاول الوقوف على اسرار الحياة ، فكان لا بد من ضرورة الطلل و الظعن و الرحلة لكي ينقل أكبر قدر من تجربته ، و ما تولده حالة التأمل ،و هو في مقطع تصويري متميز يتحدث فيه "زهير" عن موقف مشحون بالعاطفة،و هو يتابع رحيل أحبته ، فهو يعكس شكل تصويري المتمثل في عاطفته من النساء الظاعنات.

و يمكننا بناءا على ما تقدم أن نصنف قصيدة "زهير" في المرحلة الثانية من مراحل المقدمة الطللية فمعلقة "زهير بن أبي سلمى" ترسم منظرين أساسيين ، منظر الأطلال في سكونها ، و منظر صاحبة الأطلال في رحلتها في الصحراء ،و هي متحركة و لذلك فإن هذه المقدمة تمثل التطور الدقيق للمقدمة الطللية عند زهير الذي يمثل رائد مدرسة الصنعة في عصره ، هذا التطور الفني الرائع الممتاز الذي نحس معه أنه يمضي لمقاييس دقيقة

و أصول محكمة، و هي أصول و مقاييس يخضع لها الشاعر عمله الفني في كثير من الأناة و الروية و الفهم الواعي لطبيعة هذا العمل و مقوماته ،و تقاليده فهو حريص كل الحرص على استكمال صورة التي يرسمها في قدرة فائقة على استخدام ألوانه، و المزج بينها لإستخراج ألوان جديدة [1].

إن النص الشعري "لزهير بن أبي سلمى" يقف عند طبيعة البناء الفني ، لأنها تحوز كل المواصفات التي يمتاز بها أي نص شعري ، فهي تعكس واقع الحياة العربية و البيئة الجاهلية على صفحة قصيدته ، و استطاعت أن تمثل شخصيته ، و مثال لبداوته و بيئته فنحن عندما ذكرنا البناء الفني التي تقوم عليها معلقة "زهير" فإننا نقصد وراء ذلك هو تأثير البيئة الجاهلية، و ظروف الواقع الاجتماعي على الفنون عامة، فوصف الشاعر ينزع إلى الوجودية إيمانه بالقضاء و اللاتناهي ، فجاءت قصيدته على مستوى راقي في المجال الفكري و الفني و صورتها الشعرية الفنية المنتزعة من صميم البيئة الصحراوية الاجتماعية و الفنية ،و هذا يجعل أي تفسير في بناء القصيدة يستوعب قطب التعبير عن شخصية الشاعر الفردية ، و هو تفسير ناقص من حيث أنه يفترض انغلاق قصيدته في حدود الموضوعات الفردية .

و يمكن لدارس الشعر الجاهلي أن يستمتع بما كتبه "مولر" في تفسيره النسيب و الرحلة الذي يركز أكثر واقعية و منطقية ، و حاول "مولر" منذ عنوانه الرئيسي أن يبرز فردية الشاعر الجاهلي إذ جعل هذا العنوان ترجمة لقول "لبيد بن ربيعة" لأن معلقته نفسها تستطيع أن تنفيه و تثبت عكسه لأن لبيد قدم عالما متمثلا بالطلل، و الرحيل من جهة و عالما قائما على الصراع متمثلا بلوحة الأثان و حمار الوحش،و البقرة الوحشية من جهة أخرى لم يستطع أن يتجاوز مثل هذه القضايا إلا من خلال عودته إلى ممارسة دوره في القبيلة، و التوحد بصورة تعيد إليه توازنه المفقود و تحفظ له ذاته المهزوء[2] ، و لكن هذه إشارة فقط من أجل إيضاح فكرة فردية الشاعر الجاهلي و ليس أكثر .

(1)- الربيعي بن سلامة : تطور البناء الفني في القصيدة العربية ، دار الهدى للطباعة – عين مليلة –الجزائر، 2006 م ، د.ط ، ص 17.

(2)- موسى ربابعة : الاستشراق الألماني المعاصر و الشعر الجاهلي ، جامعة اليرموك ، عمان – الأردن ،2011 م ، ط1 ، ، ص، 55-56.

و في الأخير يمكننا القول حول معلقة زهير بن أبي سلمى أنها معلقة تعبر عن مفارقة كبيرة المتمثلة في موضوع الظعائن الذي يتعلق بالشباب، و الظعن الذي تحدث عنه لا يعكس حالة الشوق و الحنين و الوجد، و على النقيض من حالة الشاعر النفسية يوم الوداع.

و إن أم أوفى التي ذكرها في مطولته الشهيرة كانت عن علاقته الزوجية التي أصبحت فيما بعد مشنجة ، متوترة ، مضطربة غير مستقرة ، أفقدت أهم عنصر من عناصر استقرار الحياة السوية، و هو الحب و لم يقل زهير في "أم أوفى" بصفتها زوجة ،و لم يسترجع "أم أوفى" إلا بصفتها ذلك الحلم الذي تأسس يوما ،و ما زال كما هو لم تشبه شائبة كهذه التي يذكرها، و قد أخذت أكثر من اسم، و لهذا لم ترقى كل قصائده صدى لتلك العلاقة المتوترة بل سارت كل قصائده عل نمط واحد ،و لم تعد "أم أوفى" هي الزوجة بل عادت "أفراس الصبا و رواحله" و ما "أم أوفى" إلا سر من اسرار العلاقات العاطفية ، فقد تراءت له أو أوفى ذلك اليوم فطاردها حلما و لم يتحقق و ظل يبحث عن هذا الحلم على افتراض أن زوجته "أم أوفى" حقيقة ضل ينشد ذلك الأمس البعيد في نداء داخلي لذلك المجهول "أم أوفى" فكانت الظعائن ماثلة أمام عينيه بكل جمالها إن فيها ذلك الحلم الذي يأبي الرجوع، و لم تبق إلا الأطلال و لم يبق إلا الكبر ،و لم يبق إلا الرضي بالواقع المعيشي، كد و عناء من أجل الآخرين ،و هروب من الواقع عن طريق الفن إنها بعض مأساة هذه البشرية على هذه البسيطة ، تلك المأساة التي تشد وطأة كلما بلغ الإنسان حدا منفرط الإحساس و الاضطراب العاطفي،و كلما كان غير واقعي خاضعا لتوجيهات الاصلاح فيمثل له الشعر متنفسا يجمع فيه شتى التداعيات ، كانت المرأة و مازالت حلما لا يتبدل أو يتغير لا يفارق الخيال أبدا و يقول "الشامخ" [1].

يَقِرُّ بِعَينِي أَنَّ أُنبِأَ أَنَّهَا وَ إِنْ لَمْ أَنَلْهَا أَيِّمٌ لَمْ تُزَوَّجِ

(1)- فضل بن عمار العماري : الحب عند العرب ، دراسة في الشعر العربي القديم ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت – لبنان ، 2009 ، م 2 ، ج2 ، ط1 ، ص 203،206.

الخاتمة

الخاتمة:

1- إن خلاصة القول نقول بأن موضوع "مقطع الرحلة في العصر الجاهلي" كان موضوعا شيقا بالنسبة لنا، وقد كان حقا بمثابة رحلة لدينا من البداية إلى النهاية، وتمكنا من خلاله التعرف على غرض من أغراض الجاهلية في ظل هذه الرحلة الذي كنا لا نعرف معناه الحقيقي والعميق فقد كان في حقل أذهاننا بمثابة مفهوم بسيط وسطحي ،و لكنه في الحقيقة اوسع من ذلك .

2- إن اسم أو مصطلح "الرحلة" قد تطابق على ما يسمى بمجتمع ما قبل الإسلام، فكان جلي بنا أن ندخل في صميم وصلب هذا المفهوم وأن ندرس أغراضه بحق مع العلم أن الانسان الجاهلي كان إنسان الترحال و التنقل ،و يبحث عن أسس و مناهج الحياة من أجل الهروب من الموت و التطلع إلى حياة أفضل فهو كان في شبه الجزيرة العربية يعيش تحت سيطرة قوانينها فدفعته إلى التصعلك من اجل تأسيس مجتمع جديد يقوم على الحرية والاستقلال والتفرد ويتخذ من شعره وسيلة وغرضا لكسب الرزق، وهو ما لمحناه عند الشاعر "الأعشى" التي دفعته الحاجة إلى ذلك وجعلته يطوف بين البلدان مكتسبا بشعره.

3- ومن وسائل الرحلة التي كان المجتمع الجاهلي يستخدمها أثناء تنقله فإننا نجد الناقة أو الراحلة ، وكذلك الخيل أو الفرس وغيرها فهي كانت ملاذا لرزقهم ورفيقة درب الشعراء كانوا يقفون عليها ويبكون الطلل ويستحضرون بها ذكريات الماضي فيخرجون ما في قلوبهم ويشكون همومهم على ظهرها ويستخدمونها للحاق بالأحباب و الحبيبة.

4- إن معلقة زهير بن ابي سلمى كانت النموذج الوافي لوصف الأطلال والظعائن، ووصف الرحلة، فقد جسد فيها الشاعر شخصيته مبينا حالاته النفسية، و كان فيها ذكر لمقاطع الرحلة في شعره .

ولكن استخلاصا لهذه النقاط الأربعة يمكننا القول أن مصطلح "الرحلة" في العصر الجاهلي قد منح صورة مثالية لحياة البادية الصحراوية بحق مستعرضا طبيعة المجتمع الجاهلي في شبه الجزيرة العربية فقد كان النموذج الأرقى للتعريف بمجتمع استحوذه طابع البداوة في ظل صحراء مقفرة مجحفة.

وفي الأخير نرجو من العلي القدير من الله سبحانه وتعالى أن نكون قد أعطينا فكرة ولو بسيطة عن نموذج الرحلة في العصر الجاهلي، وأن نكون قد لمسنا ولو جزء قليل من هذا الموضوع في صلبه .

وعسى أن نفيد كل من اطلع على بحثنا ولو بالشيء القليل، وما علينا قوله فقط انه إذا أصبنا في هذا فإنه من الله و توفيقه، وادا أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والحمد لله الذي وفقنا إلى هذا وأكرمنا من فضله ورزقه.

الملحق

ملحق

معلقة زهير بن أبي سلمى

" أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ"

قالها زهير بن أبي سلمى في مدح الحارث بن عوف بن ابي حارثة ، و هرم بن سنان المزنيين

و ذكر سعيهما للصلح بين عبس و ذبيان و تحملهما الحمالة

أَمِنْ

أُمِّ أَوْفـــى دِمْنَـةٌ لَـمْ تَكَـلَّـــمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّـــمِ

وَدَارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَـــا مَرَاجِيْعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَـــمِ

بِهَا العِيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلأْيَاً عَرَفْتُ الـدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّـمِ

أَثَافِيَ سُفْعاً فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلِ وَنُؤْياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلاَ أَنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّـهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُـمِ

جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَـهُ وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍ وَرَادٍ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَـةُ الدَّمِ

وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّـمِ

بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَـمِ

وَفِيْهِنَّ مَلْهَىً لِلطَّيِفِ وَمَنْظَرٌ أَنِيْقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ

كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّـمِ

فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقـاً جِمـامُـهُ ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّـمِ

ظَهَرْنَ مِنْ السُّوْبَانِ ثُـمَّ جَـزَعْـنَـهُ ... عَلَى كُـلِّ قَـيْـنِـيٍّ قَـشِـيْبٍ وَمُفْـأَمِ

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الذِّي طَافَ حَوْلَـهُ ... رِجَـالٌ بـنَـوْهُ مـنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُـمِ

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِـدْتـُمَـا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْـرَمِ

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيـانَ بَعْـدَمَـا ... تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْـشَـمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْـمَ وَاسِـعـاً ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْـلَـمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِـنٍ ... بَعِيدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَـمِ

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَـا مَـعَدٍّ هُـدِيْتُمَـا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُـمِ

تُعَفِّى الكُلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصْـبَـحَـت ... يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيْهَا بِمُجْـرِمِ

يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِـقَـوْمٍ غَـرَامَـةً ... وَلَمْ يَهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْءَ مِحْجَـمِ

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيْهِمُ مِنْ تِلاَدِكُـمْ ... مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّـمِ

أَلاَ أَبْلِغِ الأَحْلاَفَ عَنِّى رِسـَالَـةً ... وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَـمِ

فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُـفُوسِـكُـمْ ... لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَـمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُـدَّخَـرْ ... لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَـمِ

وَمَا الحَرْبُ إِلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْـتـُمُ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّـمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَـثُوهَا ذَمِـيْـمَـةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْـرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِـفَـالِـهَـا ... وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِـمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلـُّهُـمْ ... كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِـمِ

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِـلُّ لأَهْـلِـهَـا ... قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَـمِ

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيِّ جَـرَّ عَـلَـيْـهِمُ ... بِمَا لاَ يُؤَاتِيْهِم حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَـمِ

وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُـسْتَكِنَّةٍ ... فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَـدَّمِ

وَقَالَ سَأَقْضِي حَـاجَـتِي ثُمَّ أَتَـقِـي ... عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجَـمِ

فَشَدَّ فَلَمْ يُفْزِعْ بُيُـوتاً كَـثَـيِـرَةً ... لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَـمِ

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِلاحِ مُـقَـذَّفٍ ... لَـهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّـمِ

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقَبْ بِظُلْمِهِ سَرِيْعاً وَإِلاَّ يُبْدِ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ
دَعَوْا ظِمْئَهُمْ حَتَى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا غِمَاراً تَفَرَّى بِالسِّلاحِ وَبِالدَّمِ
فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخِّمِ
لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ دَمَ ابْنِ نَهِيْكٍ أَوْ قَتِيْلِ المُثَلَّمِ
وَلاَ شَارَكَتْ فِي المَوْتِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ وَلاَ وَهَبٍ مِنْهَا وَلا ابْنِ المُخَزَّمِ
فَكُلاً أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ صَحِيْحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرِمِ
لِحَيِّ حَلالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
كِرَامٍ فَلاَ ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلا الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ
سَئِمْتُ تَكَالِيْفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلاً لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ
وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ
وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأ بِمَنْسِمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ وَيُذْمَمِ
وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُهْدَ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ
وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذَماً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ
وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزُّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمْ النَّاسَ يُظْلَمِ
وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُواً صَدِيقَهُ وَمَنْ لَم يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَم يُكَرَّمِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ
وَكَاءٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ
وَإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لا حِلْمَ بَعْدَهُ وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُداً فَعُدْتُمُ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسْآلَ يَوْماً سَيُحْرَمِ

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: برواية ورش لقراءة الإمام نافع عن طريق أبي يعقوب الأزرق.

المصادر:

2- الأعشى: ديوانه، دار صادر بيروت، لبنان،2003، ط3.

3- امرؤ القيس: ديوانه، دار صادر بيروت، لبنان،2007، ط3.

4- تأبط شر: ديوانه، إعداد وتقديم طلال حرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1996،ط1.

5- زهير بن أبي سلمى: ديوانه: شرح وتقديم علي فاعور، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 2003،ط3.

6- زهير بن أبي سلمى: شعره، الأعلم الشتمري، تحقيق فخر الدين قابوة، المكتبة العربية حلب، د.ت ، د.ط.

7- الزوزني عبد الله الحسن بن أحمد: شرح المعلقات السبع، شرح وتحقيق أحمد شتيوي دار العز الجيدةالقاهرة، 2006، ط1.

8- طرفة بن العبد: ديوانه، دار صادر، بيروت، 2007،ط3.

9- عبيد بن الأبرص: ديوانه: دار صادر بيروت، 2003، ط3.

10- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1955م ،ج1،ط3.

11- عنترة بن شداد: ديوانه: دار الصادر بيروت . لبنان، 1998،ط1.

12- عمرو بن أبي ربيعة: ديوانه: دار الصادر بيروت . لبنان، 1998، ط1.

13- ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، د.ت ،د.ط.

14- ابن منضور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان، م11، د ت.، د.ط.

15- لبيد بن ربيعة: الديوان ، دار الصادر بيروت لبنان، 2008م ، ط2.

16- لبيد بن ربيعة: شرح ديوانه، حققه وقدم له، إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت 1984،ط2.

17- المفضل الظبي: المفضل بن محمد بن يعلي، المفضلات، تحقيق وشرح أحمد محمد

18- شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر ، 1992،ط1.

19- النابغة الذبياني: ديوانه: شرح وتقديم عباس الساتر، منشورات العلمية، بيروت . لبنان 2004، ط1.

قائمة المراجع:

20- أحمد إسماعيل النعيمي: الشعر الجاهلي منطلقاته الفكرية وآفاقه الإبداعية الدار العربية للموسوعات، بيروت . لبنان، 2010، ط1.

21- آسية الهاشمي البلغتي التلمساني: وصف الراحلة في الشعر الجاهلي، دار نشر المعرفة لنشر والتوزيع، 2007، ط1.

22- حسن محمد فهيم: أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1978، د.ط.

23- حنا الفاخروي: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم دار الجليل، بيروت . لبنان 2005م ،د.ط.

24- خليل حسن محمد: قراءات نصية في الشعر الجاهلي، دار جرير للنشر والتوزيع عمان الأردن، 2012م ، ط1.

25- الربعي بن سلامة: تطورات البناء الفني في القصيدة العربية، دار الهدى للطباعة،عين مليلة الجزائر، 2006، د.ط.

26- رناتة باكوبي: دراسات في شعرية القصيدة العربية الجاهلية، ترجمة موسى ربايعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان . الأردن، 2011م ، ط2.

27- سعيد بوقلاقة: دراسات في الأدب الجاهلي "النشأة والتطور والفنون والخصائص" منشورات باجي مختار. عنابة، 2006م ، د.ط.

28- سعيد حسون العنبكي: الشعر الجاهلي دراسة في تأويلاته النفسية و الفنية، دار دجلة عمان . الأردن، 2008م ، ط1.

29- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي, دار المعارف ، 2003 ،ط4.

30- شوقي ضيف: الرحلات، فنون الأدب العربي الفن القصصي، دار المعارف كورنيش القاهرة ، مصر ،د ت، ط4.

31- ضياء غني لفتة: البنية السردية في شعر المماليك, دار الحامد لنشر و التوزيع, عمان الاردن, 2010م, ط1.

32- عادل جابر صلاح محمد و شفيق محمد الرقيب: تاريخ الادب العربي القديم دار صنعاء لنشر و التوزيع, عمان . الاردن, 2010, ط1.
33- عروة عمر الشعر الجاهلي و حياة العرب الادبية, كلية الادب قسم اللغة العربية جامعة الجزائر دار مدني, 2008, د. ط.
34- عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن, دار جديد للنشر و التوزيع, عمان الاردن, 2007, ط1.
35- فاروق احمد سليم: الانتماء في الشعر الجاهلي, من منشورات اتحاد الكتاب العرب ,1998م، ط1.
36- فضل عمار العماري: الحب عند العرب دراسة في الشعر العربي القديم الدار العربية للموسوعات بيروت . لبنان, 2009, م2, ج2, ط1.
37- محمد عيسى صالح: رحلة الشيخ الطنطاوي الى بلاد روسيا 8840م-8850م المسمات بتحفة الاذكياء بأخبار بلاد روسيا دار النشر لنشر اليرموك, عمان . الاردن ,1992 , د.ط.
38- محمد مهداوي: جماليات المقدمة في الشعر العربي القديم مقاربة تحليلية ديوان المطبوعات جامعة بن عكنون الجزائر, 2009, د.ط.
39- موسى الربابعة: الاستشراف الألماني المعاصر و الشعر الجاهلي جامعة اليرموك,عمان . الاردن, 2011, ط1.
40- نسيمة راشد الغيث: النص الشعري العربي القديم مقاربات و اضاءات دار جديد للنشر و التوزيع, عمان . الاردن, 2011, ط.
41- نصرت عبد الرحمان: الصورة القسية في الشعر الجاهلية في ضوء النقد الحديث دار المعرفة, عمان . الاردن, 2013م ,ط1.
42- وهب الرومية: الرحلة في القصيدة الجاهلية مؤسسة الرسالة, بيروت, 1982, ط3.

الفهرس

الدعاء.....

تشكر.....

إهداء.....

I- المدخل.....10

1- معنى الجاهلية 10

2- تعريف الرحلة 11

أ- لغة 11

ب- اصطلاحا 12

3- علاقة الارتحال بالعصر الجاهلي 13

أ- رحلة الشاعر.....16

ب-رحلة المرأة 18

جـ رحلة الصحراء 19

II- الفصل الأول 22

I- أغراض و عادات الارتحال 22

1- أغراض الارتحال 22

أ- الصعلكة 22

ب- التكسب بالشعر 27

جـ التجارة 31

د- البحث عن مباهج الحياة.....34

I- الفصل الثاني: وصف الطبيعة الجامدة و الحية في شبه الجزيرة العربية من خلال الارتحال 39

1 - ظلال الطبيعة الجامدة على شكل القصيدة ومضمونها 39

2- وصف الناقة.....40
أ- الثور الوحشي 43
ب- الحمار الوحشي (الأتان) 44
جـ- النعام.....44
د- اللقوة 44
3- وصف الخيل 48
أ- العقاب 50
ب- القطاة 51
4- وصف الصحراء 52
5 - وصف رحلة الظعائن 54
IV- الفصل التطبيقي 59
1- نبذة عن حياة الشاعر زهير بن أبي سلمى 59
2- معلقة زهير بن أبي سلمى 63
3- الأطلال و موضوعاته في الشعر الجاهلي 66
أ- الطلل 66
ب- جذور المقدمة الطللية.....68
4- معلقة زهير بن أبي سلمى و علاقتها بالارتحال (المقدمة الطللية، ووصف الرحلة) 71
الخاتمة .....
الملحق 83
المصادر والمراجع.....87